على قيد ذكراك

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى 1440 هـ - 2019 م
ردمك 8 - 524 - 79 – 9947 - 978 (ISBN)
التوزيع الدولي: مصر ، لبنان ، العراق ، الأردن ، السودان

اسم العمل: على قيد ذكراك
اسم المؤلف: بوعقبة رانيا
تصميم الغلاف: زكرياء رقاب
المدير العام / سميرة منصوري
اخراج: فريق دار المثقف

صفحة الدار على موقع فيسبوك:
/https://www.facebook.com/elmothakaf
الموقع الإلكتروني: www.elmmothakef.com
هاتف / فاكس 0666.76.28.50/ 033 85 65 70

جميع حقوق النشر الورقي و الإلكتروني والمرئي والمسموع
محفوظة للناشر وغير مسموح بتداول هذا الكتاب بالقص أو النسخ
أو التعديل إلا بإذن من الناشر

بوعقبة رانيا

رواية

على قيد ذكراك

بيلومانيا
للنشر والتوزيع

المثقف
للنشر والتوزيع

الإهداء

إلى عائلتي

إلى كل من ساندني

إلى كل من آمن بي ووقف إلى جانبي

إلى كل من ذاق جمال الحب، وأدمت

قلبه قسوة الفراق

وإليك أنتَ من تقرأ هذه الأسطر الآن

أهديكم هذا العمل

المقدمة

تسيرُ الرياح بما لا تشتهي السفن، فكم من قرار تمنّينا لو لم نتخذه وكم شخصا تمنينا لو أننا لم نعرفه يوما، كثيرا ما ندمنا وتمنينا لو عاد بنا الزمن لنصلح قرارا كان غالي الثمن، لكننا دائما نجزم أنَّ من لم يخطئ لا يمكن أن يتعلم لقد عرفنا الحياة بهذا المبدأ، نعم هذه هي الحياة مزيج بين السعادة والحزن، بين الراحة والألم، بين الحنين والذكريات

هذه حكايتي... تقيّدني الذكرى أعيش حاضرا ليس لي، يأسرني ماضٍ كان ولا يزال كل شيء بالنسبة لي، وأغرق أكثر فأكثر بين قسوة الفراق وجمال الذكرى...

لطالما آمنت أن قيود الذكريات أقوى من أن يكسرها الواقع

هجرتني لكنني لم أقوى على هجر ذكراك أبدا، أحببتك وما الضير في ذلك، لا ضير إلا أن خسارة حبك أخسرتني حاضري وجعلتني أُسجن في الماضي.

لمْ أعد على قيد الحياة بل أنا على قيد ذكراك أعيش.

ها أنا أخيرًا أغمض عيني لأصحو على أطلال الذكريات المسكونة بالألم، الغارقة في الوجع والدموع والانهيار وحنانك المدمّر»

غادة السمان

الفصل الأول

«هي الذكرى»

لقد ذكّرني اليومُ بك، يشبه أوّل يوم رأيتك فيه أحد أيام ديسمبر الباردة، لطالما أحببتُ فصل الشتاء مع أني ابنة الربيع فقد ولدتُ في منتصف أبريل، إلا أنّ قطرات المطر وجو الشتاء يجذبني حتى من قبل أن أعلم أنّكَ ولدت فيه، لطالما قلتَ أني مرهفة الحس ورومانسية كثيرا، كنتَ تنعتني بالفنانة والشاعرة مبررّا ذلك بأنني أنظر لكل شيء بزاوية مختلفة وبنظرةٍ عميقة.

لا أنكرُ أني بكيت قليلا اليوم، بكيت تحت قطرات المطر، لطالما كانت دموعي هي ما يقيني من الانفجار ودائما ما أستغل هطول المطر لأبكي، حيث لا أحد يمكنه تمييز دموعي في ذلك الوقت، كما أنها تذكّرني بك، فيوم رأيتك كنت أراقب قطرات المطر، أتذْكرُ أول مرة التقينا؟ لقد سعيتُ جاهدةً لكي أمحي ذلك اليوم من ذاكرتي، كنتُ أظن أنه بنسيانه سوف أنساك، لا تلمني فأنا غارقة في الذكريات أبحث عن قشة لأتعلق بها...أَتَذْكرُه يا آسري؟

أعلم أنك سوف تجيب بالنفي، لطالما طغى على شخصيتك كبرياؤك الرجولي، كنت دائما عنيدا وتدّعي اللامبالاة، أم أنَّ هذه شخصيتك حقا؟ بعد الذي رأيتهُ منكَ ومعك لا أستطيع أن أكون على يقين من أي موضوع يتعلق بك، عدا أنّكَ حطمت قلبي.

إذن دعني أذكّرُكَ بذلك اليوم، لقد كان باردا للغاية كأن الطقس ينبئني

ببرودة أعصابك ومشاعرك، كانت لدي محاضرة على الساعة العاشرة والنصف فاغتنمت الفرصة وذهبت لشراء كتاب»طعام صلاة حب» للكاتبة «اليزابيث جيلبرت»، لقد كانت فرحتي لا توصف عندما أمسكته بين يدي فقد سمعتُ عنه الكثير وأحببتهُ من قبل حتى أن أراه، أخذته وتوجهتُ لمقصفِ الجامعة، اشتريت قهوة وجلست أمام النافذة أراقب قطرات المطر التي تنهمرُ بسلاسةٍ، كنتُ أتأملُ نقاءها وكيف تتشبث بكل ما يعترضُ طريقها لكي لا تسقط على الأرض وتنفجر... أمي تقول أنني نقية كقطرات المطر، فدائما ما تناديني «Rain».

كان المقصفُ مكتظًا علَى غير عادتهِ في ذلكَ اليوم، لكن إحساسي بما يوجدُ هناك كان معدومًا فالمطر و كتابي كانا كفيلين بأن يجعلاني أنسى العالم من حولي، كنت ُكمن دخل في غيبوبة...فور استفاقتي منها، أدرت رأسي رأيتكَ كنت تحدق إليّ بلْ تتأملني بمعنى أدق، دون أن تنبس ببنت شفة لكنك كسرت الصمت فجأة بقولك هل يمكنني أن آخذ ثانية من وقتك وأجلس؟ أومأت لك برأسي قائلة:

– نعم تفضل.

جلست بكل أدب و احترام، كنت أنيقا للغاية ومظهرك رائع، تحدثت قائلا:

–آسف على تطفلي لم أقصد أن أزعجك أعلم أنك كنتِ مركزة في

القراءة تارة والنظر إلى المطر تارة، إنّ في نظرتك عمق ولغز، خاصة ذلك الشغف الذي ترمقين به كتابك إنه ما دفعني للقدوم والتحدث إليك، لم يسبق لي أبدا أن رأيت فتاة مثلك تقرأ، قاطعته قائلة:

– عفوا...فتاة مثلي!

–اعذريني لكن جمالك، جلستك، أناقتك، تشبهين عارضات (runway) و (vogue) و تابع قائلا: حقا تشبهين نجمات هوليود، لا أقصد مغازلتكِ لكنني في موقف يجبرني على أن أقول هذا خاصة أنه في عصرنا هذا لا أحد يولي اهتمامًا للكتب الحية،كل شيء بات إلكترونيا الآن، لكن ها أنت ذي بجمالك الأخّاذ تحملين بين يديك كتابًا وترمقينهُ بأسمى نظرات الحب والشغف، لقد انبهرتُ حقًّا كانتْ نظراتهُ لي غريبة كأنه ينظرُ إلى كائنٍ غيرِ مألوف، في عينيه لمعةٌ لا يمكنُ أنْ تفسّر، كنتُ أخاطبُ نفسي قائلة: ما خطبُ هذا الرجل؟ فقدْ كانَ صامتًا، مبتسمًا ينظرُ لي بتركيزٍ كأنهُ يرسمُ صورتِي في ذاكرتهِ بكلّ تأنّي، لكنهُ سرعانَ ما أفاق من النظر لي معتذرا: آسف لم أقصد أن أكونَ بهذه الغرابة لكني تحت وقع صدمة، صدمة فائقة الجمال... لا تؤاخذيني كنت أحسب نفسي الوحيد الذي يحبّ الكتب.

– لا عليك فأنا أيضا لم أكن أعلم لكن شاءت الأقدار أن أعلم اليوم.

– لابد من أنه كتاب رائع؟

– نعم إنه جميل مع أني لم أتجاوز الصفحة السابعة «إليزابيث جيلبرت» كاتبة رائعة و هذا الكتاب مستوحى من حياتها، نظرت إلى ساعتي و تذكرت أنه لدي محاضرة الآن، يااااا الله إنها الحادية عشر وربع لقد تأخرت وقمت مسرعة، لكنه قال: أنا آسف لم أقصد أن أقوم بتأخيرك أو أن أعطلّك، ابتسمت وأجبته لا عليك لقد كان حديثا يستحق، سررت بمعرفتك كثيرا سيدي

– آسر...

– عفوا!!

– اسمي آسر يا آنسة رنين.

– نظرة استغراب اعتلت ملامحي: رنين، كيف عرفت اسمي؟

ضحك وقال:أليس هذا اسمك على القلادة التي تضعينها؟

أجبت بخجل: لقد نسيت أمرها، رددت في نفسي (يا الله كم كنت غبية سوف يخالني بلهاء) ثم قلت: إذا علي الذهاب الآن.

– سررت كثيرا بمعرفتك، وأتمنى أن أراك مجددا آنسة رنين

ابتسمت قائلة: وأنا كذلك سيد آسر

انطلقت مسرعة لكنه بقي واقفا هناك لقد شعرت بذلك

وصلت إلى المحاضرة، لم يوافق الدكتور على السماح لي بالدخول لقد اعتبر تأخري هذا تقليلا من شأنه وشأن المحاضرة فرفض أن يدخلني،

ذهبت إلى المقصف جلست بكرسي ورحت أتأمل المارة من النافذة كأنني أبحث في ملامح الناس عنك، كان يوما رائعا أول مرة أحس نفسي كقطرات المطر حقا لأول مرة أحس بكل هذه الخفة والسلاسة والحيوية، لأول مرة لا أحس أن وجودي في هذه الجامعة أمر خاطئ، لقد منحتني إحساسا لم أختبره يوما في حياتي، لكن ما هو هذا الإحساس؟ ما اسمه؟ و لم أتاني الآن؟ أيعقل أني أحببتك!

لا ...لا، هذا غير صحيح كيف أحب شخصا غريبا؟ لا يمكن، هو مجرد توافق فكري لا أكثر إنها متعة المرة الأولى التي يتوافق فيها تفكيرك مع رجل، أيعقل أن يكون هذا معنى الحب؟ لا أعلم لعله مجرد إعجاب فآسر شخصية رائعة لكني لم أرى فيه فارس أحلامي بل كان متطفلا بعض الشيء، كما أنه غريب الأطوار قليلا، تعالت هذه الأفكار في رأسي لطالما كان التأمل والسكون بالنسبة لي وقت التفكير، جرفتني دوامة الأفكار حتى سمعت صوت صديقتي (ألين)

– ما بك يا فتاة؟ هل طرأ أمر ما؟

أجبت دون وعي: لقد جاء... نظرت لي (ألين) كأني مجنونة،كم هي مضحكة صديقتي عندما تظنني فقدت عقلي.

قالت وعلامات الحيرة بادية على ملامحها رفعت حاجبا وأنزلت الآخر:

– من الذي جاء يا مجنونة؟

– أجبتها: أظنه الحب يا ألين

– ماذا ؟ الحب؟

–نعم الحب

– من أين أتى هذا الحب يا فيلسوفة زمانك؟

–لقد أتى من المقصف

–أظنك جننت حقا أتعلمين ذلك؟

– توقفي سوف أحكي لك كل شيء، بدأت بوصفك آسري، وإذ بألين تقول لي: يا فتاة أمتأكدة أن هذا الشخص موجود فأنت تصفين لي (جيمس دين) مع قليل من (جوني ديب) العشريني وأناقة (جورج كلوني) الأربعيني، إن روايات شكسبير حتما بدأت تؤثر على سلامة عقلك، لكن يا فتاة قولي لي هل عرفت اسم هذا السيد الرائع؟

– اسمه (آسر)

– لابد من أن يكون آسرا فقد أسر قلبك من أول نظرة، أيعقل أن تكوني قد وقعت في حبه حقا؟

– أحسّ بإحساس لم يسبق أن أحسسته من قبل فماذا تُراه يكون؟

– هيا لنذهب إن عصافير معدتي تزقزق، لا أستطيع التفكير حتى أسكتها.

– هيا

طيلة الطريق وأنا أفكر بك لم أستطع أن أزيحك عن تفكيري عرفت من أين تمسكني، كم هو صعب أن يحدث لك توافق فكري مع أحد لدقيقة كدت أجزم أنك لست بشري، فقد استحوذت على تفكيري بصورة غريبة كأنك عرفت ما يجذبني وركزت عليه، حتى عندما كنا نتناول الطعام لم أركز مع حديث ألين وكانت بين الفينة والأخرى تلوح بيدها أمام وجهي فأستفيق أنا من التفكير بك ومراجعتي لحديثنا، لكنني فكرت جيدا في أنك مجرد شخص فرصتي في أن أراه مجددا معدومة، وكل ما أحس به نحوك ما هو إلا إعجاب.

توالت الأيام ولم أعد أفكر بك كثيرا لقد اقتنعت أني لن أراك مجددا، عدت إلى حياتي اليومية ونسيت ذلك اليوم الذي رأيتك فيه، لكني تمنيت في قرارة نفسي لو أنك كنت هنا عندما أنهيت قراءة كتاب (إليزابيث جيلبرت) لكي أناقشه معك وأحكي لك عنه، لقد مر شهران منذ أن رأيتك أول مرة لم أعد أبحث عنك لقد تجاهلت الأمر و كأنه لم يكن، لكنك دائما تحب أن تقنعني أنك ليس من السهل أن يطويك النسيان و كلما أحسست أني بدأت أتجاوزك كنت تظهر من جديد،كنت أنظر في عينيك مستغربة كيف عرفت قراري فكنت ترد: أحفظك يا صغيرتي كنت أجلس في حديقة الجامعة بعد يوم من نسياني لك وإذ بك تظهر، هنا اقتنعت أنك لا يمكن أن تكون إنسيا، جئت

– بابتسامتك الساحرة وأنا في حيرة كيف ظهرت من أين، ولم الآن؟

–كسرت الصمت كعادتك قائلا: الجميلة المثقفة

– ابتسمت وقلت: سيد آسر كيف حالك؟

–بخير my lady، ماذا عنك كيف حالك ؟

–الحمد للّه

–أتعلمين أن طائرتي قد حطت منذ ربع ساعة، لقد كنت في أمريكا أتابع بعض الأعمال وجئت من المطار إلى هنا

–لماذا؟

–أردت أن أراك، فمن يراك لمرة ويحادثك يصبح دائم الشوق ليراك مرة أخرى

احمرّت وجنتاي خجلا لأول مرة يتحدث معي شخص هكذا، وقلت: لقد أفحمتني شكرا.

– لست من الأشخاص الذين يقدمون الإطراءات، فقول الحقيقة أسهل بكثير من نسج الإطراءات.

–لكل منها موقف يجبذ استعمالها فيه

–أنا ممتن جدا لأني رأيتك مرة أخرى.

–شكرا لك سيد آسر.

– أيمكنك مناداتي بآسر فقط my lady؟

– حقا!! استغربت لأنك ناديتني (my lady) للمرة الثانية.

- نعم، أأبدو لك كشخص يحب الرسميات؟

-حسنا... لقد أوضحت وجهة نظرك و ضحكت لكنك لم تضحك بل شردت في ضحكتي وقلت: ضحكتك رائعة.

-أتتعمد أن تخجلني؟

- لا أقصد ذلك لكنك تبهرينني في كل مرة أراك.

وهنا رنّ هاتفي تعالى صوت (the cranberries)، نغمتي كانت (dreams) فأنا عاشقة لفيلم (you've got mail) أحبه كثيرا... اعتذرت منك لأجيب على هاتفي، إلا أني وجدتك تغني في الأغنية ولوهلة أحسستك (Tom Hanks) أجبتُ ألين ولمحت لها أني معك ثم عدت إليك فقلت لي: إنها أغنية رائعة وأكثر مقطع يعجبني هو وقلنا في نفس الوقت:

«now I tell you openly you have my heart so don't hurt me»

لقد قلنا نفس الشيء في نفس الوقت استغربت لكنك ابتسمت ابتسامة أحسستها نابعة من قلبك، وابتسمت أنا كذلك كم أحسست بالسعادة لأننا نحب نفس المقطع من نفس الأغنية، ثم قلت لي: ألم يسحرك أداء Tom Hanks و Meg Rayn في فيلم you've got mail تفاجأت كثيرا من سؤالك ألهذه الدرجة يمكنك أن تقرأ أفكاري؟

أجبتك: ذلك الفيلم أسطوري وأداؤهما رائع بل خيالي، عيناك تلمعان عندما أتحدث تنظر لي وكأني كائن غريب تتمعن في ضحكتي وفي كلامي.

تحدثنا كثيرا ذلك اليوم قلت لي أنك متعب لكنك نسيت كل شيء ونحن نتحدث، تأخر الوقت اعتذرت منك قائلة أنه علي الذهاب الآن، عرضت أن توصلني لكنني اعتذرت مرة أخرى بقولي أنه لا يجوز ذلك، فابتسمت محييا خجلي ومحافظتي لكنك طلبت مني أن أعطيك رقم هاتفي، لأنك سوف تتصل بين فترة و أخرى لتطمئن علي، فبالنسبة لك معرفتك بي كنز، قلت كل هذا وأنا أتأملك كم كنت آسرا في كل ما تقوم به وتقوله، قبلتُ أن أعطيك رقمي و ودّعتك آملة أن أراك مرة أخرى، ابتسمت وذهبت، لكنك بقيت واقفا كما فعلت في أول مرة رأيتك كأنك تتعمد أن تذكّرني كيف أسرتني أول ما عرفتك، كدت أطير من السعادة لقد أتيت بعد أن قررت نسيانك، لم أستطع أن أرتب أفكاري فقد تملكتني سعادة

غامرة وهنا تيقنت أنه الحب، لقد أتيت عندما قررت أن أنساك كأنك تقول لي إذا أردت أن تحبيني فلا تخافي، كنت أفكر وأنا أستمع إلى أغنية «simply the best» نعم أظن أنك الأفضل، عدت للمنزل لا أدري كيف وصلت أكاد لا أصدق ما جرى كدت أطير فرحا،

إحساس رائع لقد أيقنت أنك ملكت قلبي، لم أستطع أن أكلّم أحد، لا أريد أن أسمع صوت أحد، لا أريد لصوتك أن يغادر أذناي، أشعر برغبة كبيرة في أن أغمض عيناي وأستحضر صورتك.

غيرت ملابسي ونمت أحسست نفسي كأميرات القصص الخيالية، كم هو غريب كيف تُشعرني بالأمان والسعادة لا أستطيع مقاومة ما تجعلني أشعر به، كنت دائما أجزم أنك لست إنسيا لا يمكن لإنسي أن يقتحمني بهذه الطريقة، كلمة واحدة منك ونظرة واحدة في عينيك تجعل أي يوم أجمل أيام حياتي، وأيا كان المكان الذي أكون فيه معك فهو الجنة يا آسري، لم تخطئ أمك عندما أسمتك آسر فقد أسرتني بل وأسرت كل كياني ما أجمل قربك وكم يفزعني بعدك عني.

* * * *

«and now I tell you openly you have my heart so don't hurt me you what I couldn't find … totally amazing mind so understanding and so kind you're everything to me»

جميلة هي الحياة بوجودك كل شيء معك يصبح طعمه أجمل وأجمل

أتغير عندما تكون بجانبي أصبح طفلة أعشق ما تجعلني أشعر به، استيقظت من نومي جازمة أن ما مررت به اليوم ليس إلا حلما جميلا، وبينما أنا أحاول أن أفهم ما إن كنت أحلم أو أنها الحقيقة رنّ هاتفي، ولمع اسمك على شاشته كأنك تؤكد لي وجودك، لطالما أحسست بي و أنقذتني من الحيرة، لكنك الآن سبب حيرتي فأنا معلقة بذكراك، فزعت عندما رأيت اسمك وجبنت لم أستطع أن أحرك يدي وأجيبك كنت أقرب سبابتي من الهاتف ثم أرجعها، غرفتي ملتصقة بغرفة أختي وهي من محبي سماع الموسيقى طوال اليوم في بعض الأحيان حتى منتصف الليل أو ساعات الصبح الأولى، وفيما أنا في حيرة من أمري حتى انتبهت إلى كلمات الأغنية الصادرة من غرفة أختي

«Maybe we're perfect strangers maybe is not forever Maybe the night will change us Maybe we'll stay together»

أحسستها إشارة أنه يجب أن أتكلم معك، أنه مقدر لك أن تكون في حياتي كل هذا مر بذهني في جزء من الثانية، أعدت الاتصال بك واعتذرت منك مدعية أني لم أسمع اتصالك، ضحكتَ وما أجمل تلك

الضحكة قلت لي:

-كيف حال الرائعة؟

-الحمد لله و أنتَ يا محبyou've got mail ؟

-أنا الآن في أحسن حالاتي.

-ابتسمت خجلا و قلت لك: الحمد لله

-تخجلين كثيرا أليس كذلك؟ صدقيني لا أقصد إخجالك.

-عادي لا تشغل بالك، لكن كيف عرفت أني خجلت الآن؟

-عندما تخجلين تجتاح صوتك بحة

-حقا!

-نعم

-الحقيقة أني لم استطع أن أزيحك عن تفكيري أنت حقا فريدة من نوعك.

-شكرا جزيلا أنا فخورة لقولك هذا عني

-لقد استمتعت بوقتي معك، في الحقيقة لم أحس بوجود الوقت برفقتك أنا من يجب أن يقول شكرا، الأصح أن أسجد ركعتي شكر لأن الله وضعك في دربي.

نفذت الكلمات، ففور سماع هذه العبارة يختلط كل شيء، لم أقم بالرد لكنك أكملت كلامك.

-آسف، أعلم أني أخجلتك اعذري طريقة كلامي، وقت اتصالي، اعذريني لا أعلم ماذا دهاني أنا على هذه الحالة منذ شهرين

-لا تأسف لكني لا أعرف كيف أصمد أمام الإطراء، لا زلت لا أفهم شيء، في ثانية لم أعد أميز ما يمكن أن يكون حقيقة وما يمكن أن يكون حلما أو بأصح القول وهم. اذكر حينها انك قلت لي: يجب أن تتدربي على تحمل كلماتي فهي ليست بإطراء هي الحقيقة الكاملة دون زيادة أو نقصان، هي ما أراه فيكِ,سوف تسمعينها كثيرا حاولي أن تتحمليها. كان يجب علي أن انهي هذه المكالمة بأسرع وقت ممكن لست معتادة على هذا النوع من الحديث أو هذا الكم الهائل من الإطراءات، أسلوبك غريب و طريقة كلامك أغرب، ما هذا الأسلوب؟ لماذا تتحدث بهذه الطريقة؟ لم أكن في حاجة لطرح المزيد من الأسئلة يكفيني ما يجوب ذهني لحد الآن فهو كفيل بأن يسلبني النوم هذه الليلة، أجبتك قائلة:أشكرك على كلامك الجميل هذا لطف منك حقا.

-لا شكر على واجب آنسة رنين.

-رائع، لقد كان يوما حافلا بالنسبة لي اعذرني سأذهب إلى النوم الآن.

-لقد سررت كثيرا بسماع صوتك أتمنى أن أسمعه مرة أخرى سأكون ممتنا.

-وأنا كذلك، إن شاء الله سوف نتحدث قريبا ليلة سعيدة.

-ليلة سعيدة

لا يمكن وصف شعوري لا أدري في أي عالم أنا مع كل الأسئلة التي تحوم حولك في عقلي، إلا أنك أسرت روحي هناك صراع قائم بين المنطق والإحساس الآن والفائز دون عدل هو الإحساس لأن المنطق يحذرني وأنا أتفادى سماع تحذيره، أذكرّ نفسي بشدة أن ما يحدث لي منافي لأي منطق ما يحدث لي معك ما هو إلا استثناء... هجرني النوم تلك الليلة، وكيف لا وأنت أسرت روحي وفؤادي وشغلت عقلي بكم هائل من الأسئلة فما بالك بالنوم، خانني التعبير لأول مرة لا تقف الكلمات في صفي، كم أرغب بأن أحدثك عن شعوري تلك الليلة، لكن لا بد أن هذه هي ضريبة العشق، كثيرا ما يقال أن من يعشق يصبح شاعرا، لكنني الآن فقدت فصاحتي، لا يوجد شك أن عشقي لك استثنائي مثلك لطالما آمنت بأنك استثنائي كل تصرفاتك كانت منافية لأي قاعدة عهدتها ألامس تمردك حتى في طريقة كلامك وفي طريقة انتقائك للكلمات، كنت متمردا حتى في حبك لي، أراقب تصرفاتك وتتملكني الحيرة ليس من السهل علي أن أرى كل هذا الكم من التمرد في رجل كلاسيكي من الطراز الأول، رجل يعشق أفلام الشاشة الفضية، ويسترخي عند سماع إحدى مقطوعات شوبان أو ديبوسي رجل تحرك مشاعره الموسيقى الهادئة ويحمسه العزف على الكمان، يعشق السكسوفون و الجاز، عندما تكون سعادته في أوجّها يستمع لأغاني فرانك سيناترا،

رجل يتحدث بجنون عن مدى جمال لوحات فان جوخ، وكم يعشق اكتمال القمر والسماء المغطاة بالنجوم، رجل يعشق الحرية كما يعشق أن يحوم بعينيه في ألوان المجرة، وفي نفس الوقت رجل صارم وجوده يدب الرجفة في جسمي، كله آسر أنت... لست من النوع الذي يسهل عليه إخفاء ما يشعر به أو ما يجوب ذهنه كل شيء بداخلي كان باديا على وجهي، لذلك لم يكن من الصعب عليك أن تكتشف نظراتي المليئة بالحيرة كنت تنظر في عيني وتبتسم ثم تقول أتعلمين يا حبيبتي أن أجمل شيء في الحياة من بعدك أنت طبعا، هو أن تكون مختلفا أن تعيش وفق قانونك الخاص وأن تلعب وفق قواعدك تذكري دائما. «you should be the exception not the rule» فأنا حتما عشقتك لكونك استثنائية لأبعد الحدود، استثنائية حتى النخاع، عشقتك لأني لم أرى أنثى تشبهك أبدا، عشقتك لأنك فريدة من نوعك... أسمع كلماتك هذه وأتخدّر من روعة وقعها على أذني، كم هو رقيق وصفك، أتذكر جيدا بأني كنت أجيبك أن العشاق يتشابهون فلو لم تكن أنت استثنائيا لما كنت لتحب أنثى استثنائية، كنت تقول: « صدقيني يا أميرتي حتى وإن لم تكوني استثنائية ما كنت لأحب امرأة غيرك، لن أقول أنك توأم روحي لكي لا أبدو مبتذلا، لكنك حتما و دون شك المرأة التي خُلقت لأكملَ عمري معها.»

وددت لو عرفت ما كان سوف يؤول له حالنا ذلك اليوم، كنت أوقفتك ونهيتك عن قول كل ذلك الكلام، كنت سأقول لك أن طرقنا مفترقة حتى و إن التقت في وقت ما، ما كنت لأبني أملا كاذبا و ما كنت لأخسر حاضري ومستقبلي...

كانت ليلة سعيدة حقا، في تلك اللحظة أيقنت أنني أنتشي بتفكيري بك، لم يداعب النوم عيناي لكن صورتك لم تهجرهما ولو لثانية، بدايات العشق رائعة فهي كفيلة بأن تطلق العنان للفنان الذي ينبض داخلك، لا بد أنك تنعتني بالساذجة الآن فكيف أن تعشقي من أول لقاء، أول محادثة؟

كيف لك ذلك؟ انتظرتك طيلة 25 سنة فكيف لا أعشقك فور وقوع عيناي عليك، كنت أعلم أنك حبي الأبدي علمت ذلك من أول نظرة في عينيك، لقد أحكمت أسري.

اتصلت في صباح اليوم التالي، كنت أكتب قصيدة عندما سمعت رنين هاتفي، وجدتك المتصل فاتسعت عيناي لم أكن أتوقع اتصالك مع أني كنت بحاجة ماسة لسماع صوتك تمالكت نفسي و أجبتك، قلتَ بصوت مرحّب: صباح الخير آنسة رنين.

-صباح الخير سيد آسر كيف حالك؟

- الحمد لله، وأنت كيف الحال؟

– أتمنى أن لا أكون قد أيقظتك من النوم؟

– الحمد لله، لا بأس أنا مستيقظة.

– رائع، ما رأيك أن نرفع الألقاب؟

– حسنا بكل سرور آسر

– هذا جميل رنين، اتصلت لأني لم أكتفي من سماع صوتك و لا أظن أنني سأكتفي يوما، لم أنم ليلة أمس منتظرا الصباح، حتى أتمكن من محادثتك، اعذري صراحتي الزائدة.

– لا عليك لا يقلقني اتصالك بالعكس أنا ممتنة، علمت من الوهلة الأولى أنك إنسان صريح، من السهل لديك أن تقول ما يجوب ذهنك، متسرع أنت رغم رزانة ملامحك، تفكيرك متسرع جدا، لكنه يسع الدنيا بأكملها، غريب أنت و غرابتك زادتك رونقا، زادتك اختلافا، فكيف يجتمع الحاضر والماضي، الجنون والعقل، والكثير الكثير من المتضادات في رجل واحد، كيف لكل هذا التناقض أن يحيا في جسد رجل واحد.

–صدقيني أنا أيضا ممتن لك لأنك تحادثينني ولم تستغربي تصرفي، أظن أنني قلت لك أني لست على طبيعتي منذ شهرين تقريبا، لا أعلم ما انتابني لكنني لست كما عهدت نفسي.

–إن شاء الله خير، أتمنى أن لا تكون مريضا فقط

–لا لست مريضا، صحتي على أحسن ما يرام

سكتَ قليلا ثم قلتَ: إن المشكلة كلها في عقلي، عقلي متعب تفكيري مشتت، أرتاح فقط عندما أتحدث معك كأنك تلامسين روحي فلا أحتاج إلى استعمال عقلي لمحادثتك فقط روحي، أستمع لكلماتك وأفكر فيها، لماذا تقول لي هذا؟ وكيف لك أن تقول هذا بسرعة هكذا؟ غريب فليس الوقت مناسبا ولا الطريقة مناسبة لست مستعدة لهذا، قلت لك أنه شرف لي أن تلحظ التشابه بين شخصينا وأنه لمن الرائع أن يكون لنا شخص في هذا العالم نستطيع محادثته بكل شفافية وأن نكون على طبيعتنا معه إن هذا حقا من نعم الله علينا، أنا كذلك أحس بالراحة عندما أحادثك.

-لا يمكنك أن تحزري كم أسعدتني كلماتك صدقيني تملكتني سعادة عارمة، أشكرك من أعمق نقطة في قلبي على لطفك و لباقتك

- لم أفعل شيء ما هي إلا الحقيقة، إذا أنا ذاهبة الآن أتمنى أن تدوم سعادتك وأن تقضي يوما جميلا.

-وأنت كذلك رنين أتمنى لك يوما مشرقا مثلك.

-شكرا

-العفو إلى اللقاء

-صحبتك السلامة

هنا بدأت رحلتنا أصبحنا لا نفترق منذ ذلك اليوم في تلك اللحظة

أصبحت قلوبنا واحدة وأصبح قدرنا واحد، على الأقل هذا ما ظننته في ذلك الوقت، لا شيء في الدنيا يضاهي جمال الذكرى كذلك لا يوجد أقسى من الشوق فأينما حل جمال الذكرى حلت قسوة الشوق، الثنائي الأزلي الثنائي الوحيد الذي لم يفترق و لن يفترق ما دام على الدنيا التقاء وفراق...أتعلم ما خطر على بالي الآن؟ يوم قررت أن تعلمني السياقة، لا أستطيع التوقف عن الضحك في كل مرة أتذكره قلت لك مرارا أني لا أريد ذلك لكنك عنيد جدا، استسلمت للأمر الواقع وقررت أن أحاول، ركبت أنت بجانبي لكي ترشدني بدأنا الدرس وكان كل شيء يسير بسلاسة إلى أن دخلت تلك النحلة إلى السيارة، تركت مقود السيارة وشرعت في الصراخ وأنا أقول النحلة النحلة، وأنت تصرخ وتقول سوف تقتلينا، أوقفت السيارة ثم ترجلنا منها وجلسنا بجانبها على الأرض ورحنا نضحك ونضحك على شكلينا في تلك اللحظة، كنت تضحك ثم تنظر لي مبتسما كأنها أول مرة تراني تتأمل عيناي المليئة بالدموع، نظراتك تجعلني أصمت فهناك فرق بين النظر والتأمل، لقد كنت تتأملني كعادتك ترسخ صورتي في ذاكرتك وهل تبقى غير الذكرى، تتأملني وكأنني أتيت من كوكب آخر، تسرح في ملامحي مبتسما ثم تهمس قائلا: الحمد لله .

* * * *

كم أعشق الطريقة التي أحببتني بها، كنت أفكر دائما أن الفرحة هي كل لحظة أقضيها معك، هي كل دقيقة أكون فيها قريبة منك، كان حبك كل شيء بالنسبة لي، مر يومين لم أسمع فيهم صوتك، تملكني الذعر خفت أن تكون قد رحلت، كان من المفترض أن نتحدث في نهاية اليوم ولم تتصل وأتى مساء اليوم الثاني ولم تتصل، لا بد أنك اختفيت كما فعلت في أول يوم التقينا، تجيد الاختفاء والظهور أظنها إحدى طرقك لجذب انتباهي، أو هي طريقة لتعلم مدى تعلقي واهتمامي بك.

في قانون الفتيات يوجد بند يقول أنه لا يجب أن تتصلي برجل حتى يتصل بكِ، تناسيت ذلك القانون واتصلت بك فمن اللحظة التي رأيتك فيها وأنا أخرق كل قانون أعرفه، أيعقل أني أصبحت متمردة مثلك؟ ألهذه الدرجة تملكني عشقك حتى أصبحت نسخة منك؟ كم أنت بارع في جعلي أطرح الأسئلة.

أجبت اتصالي بحيرة كأنك لم تكن تتوقعه أو بالأحرى كمن تردد في الإجابة على المكالمة، أستطيع تمييز حالة الشخص من نبرة صوته، كانت مرحبا التي قلتها مصحوبة بضحكة مصطنعة للغاية لم تكن موفقا كثيرا في تزييف تلك الضحكة.

-مرحبا لقد اتصلت للاطمئنان عليك والسؤال على أحوالك، أتمنى أن لا يكون اتصالي قد أزعجك.

-لا أبدا، لقد أسعدني اتصالك رنين

-رائع، كيف حالك إذن؟

-الحمد لله، أصبت بنزلة برد فضيعة جعلتني طريح الفراش، الحمد لله لقد تعافيت جزئيا

-الحمد لله على سلامتك، تمنياتي لك بالشفاء العاجل.

-شكرا جزيلا هذا لطف منك

-لا عليك...إذن بما أني اطمأننت عليك سوف أدعك تكمل راحتك.

-انتظري رنين

-نعم؟؟

- متى يمكننا أن نلتقي؟ يجب أن نتحدث.

- بخصوص ماذا؟؟

- بخصوص موضوع يهمني.

- تعافى، عندها يمكننا التحدث

أغلقت الخط وأنا أرتجف فكل شيء يخصك يوترني، اشتقت لصوتك كثيرا، اشتقت لوجودك تماما كما أشتاقه الآن، يعصف الحنين بكياني ويلهب الشوق فؤادي حفرت دموعي أنهارًا على وجنتاي، أَوَ تحسب أنه من السهل فقدان الحب؟ ليس من السهل أن تجد نفسك كنت تعيش حلما ومن ثم أصبحت تصارع الواقع، كان حلما جميلا تمكنتَ فيه من

الطيران بكل سلاسة وخفة، ثم فجأة تجدُ نفسك تهوي نحو الأسفل لترتطم بأرض الواقع، أين تتحطم كل الأحلام في صراعها مع القدر، هنا يتيقن الشخص أن ما كان يطلق عليه اسم (قدري) لطالما كان اسمه (حلمي)، هنا تعيد صياغة حياتك من أولها تبدأ من جديد تقول في نفسك: لقد خططنا للبدء معا، لم أنا هنا بمفردي؟ هذا الشعور متعب جدا لا يمكن تحمله فهو يحمل أسمى معاني الهزيمة والقهر، حقا لا يمكن تحمله.

* * * *

أفكر كثيرا في الموضوع الذي تريد التحدث فيه معي، لا أريد أن أبني آمالا كاذبة أو أنسجَ احتمالات في عقلي، لا قوة لي بصدمة أيا كان نوعها، تعرف جيدا كيف تجعل القلق والحيرة يسريان في جسدي، جعلتني أنتظر على أحر من الجمر لأعرف فقط هذا الموضوع الذي يحوم في عقلكَ آسري، صعب بالنسبة لي أن أعرف ما يجوب ذهنك، يؤرقني غموضك كثيرا، حاولت جاهدة أن أتناسى هذا الموضوع المبهم حتى نلتقي وبعد مرور ثلاثة أيام وجدتك تتصل بي، تملكتني تلك السعادة التي تصاحب جميع اتصالاتك كأن اتصالك هو مصل الفرح والسرور، تحدثنا وكان صوتكَ ينّم على أنكَ في أحسنِ حالاتك لابد من أنك تعافيت تماما من

نزلة البرد التي حلّت عليك، سألتني ما إذا كنت متفرغةً غدا أم لا، قلتُ لك بأن لدي محاضرة صباحا ثم أنا متفرغة لبقية اليوم، فأجبتني: هذا رائع أتمانعين إن مررت عليك بعد المحاضرة وذهبنا لمكان هادئ أريد أن أحدثك بخصوص شيء ما.

تسارعت نبضات قلبي لقد أتى الوقت الذي سيُكشف فيه اللغز الذي كان يحيرني، قبلتُ دعوتك وهل لي ألا أفعل، لو رفضت كنت سأموت مخنوقة بفضولي. جاء اليوم الموعود لا أدرى لماذا فكرة أني سأراك مرة أخرى تجعلني أرتجف، وجودك مربك ونظراتك تبث في قلبي الرهبة وتنشر الكثير من الغرابة في الجو تحيط بك هالة من الرجولة، من الصلابة، حتى وأنت في قمة اشتياقك لوجودي، لا يمكن تمييز تلك اللهفة في عينيكَ، لكن فور حديثكَ معي نبرة صوتك تكشف كل ما أخفيَ خلف تلك النظراتِ الجافة، يجعلني صوتك أشعر بالأمان يريح أعصابي و كأنه مقطوعة من أجمل معزوفات السكسوفون، يريحني صوتك تماما كما يريحني عزف Candy dulfer تناقشنا يوماً حول أغنية lily was here كنت أحدثك عن مدى شبه الغيتار و السكسوفون بالعَاشِقَيْن، وفي تلك الأغنية كانا يخوضان حديثا مليئا بمعاني الحب والهيام، عذوبة السكسوفون وعمق الغيتار يسافران بك إلى مكان آخر حيث لا شيء في الهواء سوى ذبذبات العشق، كنت

تنظر لي كمن يرى أمامه مائدة الإفطار بعد صيام يوم طويل، تتأملني بحذر و شغف، لطالما كنت شغوفا بي كنت أعلم ذلك و أعلم الآن كم أتمنى أن يعود ما كان بيننا، أن أحدثك مرة أخرى أو أن أراك حتى. مررت عليَّ في الجامعة واصطحبتني إلى أحد المطاعم على الشاطئ كان المطعم جميلا بسيطا ودافئا، شعرت بالراحة فيه رغم الخوف الذي كان يسري في عروقي، كنتَ متوترا للغاية، منذ عرفتك لم أرك متوترا يوما لهذا الحد، كيف لمصدر توتري أن يكون متوترا؟ كانت قطرات العرق تتلألأ على جبينكَ العريض، كنت تحول بعينيك في الأفق جيئة وذهابًا كأنك تقوم بصياغة حديثناَ الذي لم يبدأ بعد، تُطَرْطِقُ أصابعك ثم تركز نظراتك علي، كنت أراقبكَ بذهول أحاول أن أفهمك، قاطعتُ صمْتنَا بقولي:

– يا له من مكان جميل هواءه نقي والمنظر من هنا تحفة

– نعم، قليل من الناس فقط يعرفون هذا المكان، آتي إلى هنا كلما وجدت نفسي في حاجة لبعض الهدوء و التأمل.

–معك حق المكان هادئ

–لابد أنكِ تحاولين فهم سبب مجيئنا عيناك تفضحانك كعادتهما.

–الحقيقة، نعم أريد أن أعرف.

–أنتِ هي السبب الذي جعلنا نجلس هنا اليوم.

–أنا؟

– نعم أنتِ، لا أستطيع أن أمنع عقلي من التفكير بكِ أو أن أمنعه من رسم صورتك أمامي في كل ثانية لا أستطيع أن أكف عن الهذيان باسمك طوال الليل ولا أستطيع أن أقول لقلبي أن يتوقف عن ضخ عشقك في شراييني لا أستطيع، صدقيني لا أستطيع .

– أنا

– لا بأس أعلم أني فاجأتكِ بكلامي هذا كنت متسرعا قليلا، انجرفت في دوامة الحديث اعذريني، لكن في حضرة امرأة خلابة مثلك لا يمكن للإنسان أن يتمالك نفسه أو أن يسيطر على كلماته، أكرر أسفي.

– أنا أقدر صراحتك كثيرا، لا تعتذر أرجوك لقد تفهمت الأمر

– رائع، إذا هل تقبلين أن تكوني حياتي؟ حياتي أنا فقط، أتقبلين أن تكوني ملكة قلبي وسيدة عشقي؟

– لا أعلم ما يجب قوله في مثل هذه المواقف، لكن ما يمكن أن أقوله فلندع كل شيء لأوانه، دعنا نوطد معرفتنا ببعضنا البعض، ونتعرف أكثر على شخصية كل منا، دون أن نطلق اسم على علاقتنا فلتكن «شبه صداقة» وبعد أن نجتاز كل هذا سوف يتحدد مصيرنا دون أي تسرع.

– تفكيرك رائع أنا موافق على هذا لقد أرحتي قلبي حقا.

لطالما كنت أريح قلبك لكن أنا من يريح قلبي الآن من يطفئ النار المشتعلة به، تلك النار التي ألهبت كل ذرة سعادة بداخلي، النار التي أوقدتها بروحي

أحرقتني ومازلت تحرقني، حتى إني أشم رائحة الرماد في كل ما يحيط بي، أسأل إن كان من حولي يشمونها لكنهم يجيبون بالنفي، وكيف يمكنهم ذلك وهي محجوزة في داخلي، إن داخلي أنا من يحترق فؤادي أنا من يحترق.
طلبت منك أن نعود إلى المنزل لكنك رفضت قائلا:
– ليس قبل أن نتغدى سويا.
اعتذرت منك، فأنا لا طاقة لي بأن أجلس هنا معك بعد اعترافك الصريح ذاك لكنك لم تقبل اعتذاري، لقد أخجلتني حقا، كنت تتحدث عن مقدار حبك لهذا المكان بدت عليك السعادة واختفى التوتر من ملامحك، لأول مرة أراك تتحدث بفرح هكذا، كنت تخبرني عن مدى حبك للبحر وكيف تعشق مشاهدة الأمواج ترتطم على الصخور كل شيء تحبه فيه ألم، كل متعك مؤلمة، أظنك تحب رؤية الآخرين يتألمون، كيف لكائن مثلك أن يحمل كل هذه القسوة. أنت أكثر شخص يؤكد مقولة «الأمور ليست بظاهرها»، أعمل بهذه المقولة في حياتي اليومية كثيرا وكلما ذكرتها أمامك كنت تقول لي أن باطن الإنسان ينعكس على مظهره وتصرفاته، كنت تقول أن ظاهر الأشياء هو ملخص باطنها، كنت أجيبك دائما أن هذا الأمر نسبي يختلف حسب طبيعة الشيء المدروس وحسب منظور الدارس، كنت تنظر لي وتبتسم ثم تغير الموضوع، لطالما لقبتني بحفيدة «سقراط» وخليفة

«ديكارت» تظنني أتفلسف كثيرا، أنت عنيد لكن أظنك كنت أقرب إلى كونك متعصبا في نقاشاتك معي.

أنا كذلك أحب البحر فأنا أنحدر من مدينة ساحلية، أعشق نسمات الهواء على الشاطئ وأعشق صوت الأمواج، أحب كثيرا كيف تلتقي السماء بالبحر في الأفق كأنهما عاشقان، كل واحد منهما من عالم مختلف لكنهما تحديا الاختلاف وأمسكا أيدي بعضهما ورغم صعوبة تلك الخطوة التي أقدما عليها إلا أنهما لم يتراجعا على القيام بها، وهاهي قائمة منذ قديم الأزل، كنت أنظر إلى البحر بينما أقول هذا، التفت إليك فوجدتك تبتسم أحب ابتسامتك كثيرا، بريئة هي عكس داخلك القاسي تمتلك ملامح ملاك وقلب شيطان، يا لك من شخص غريب ومليء بالتناقض، سألتك ما الذي جعلك تبتسم هكذا؟ أجبتني قائلا:

– تتحدثين عن العاشقين بشغف، تمجدين العشق بصورة كبيرة تبدين كمن عاشت قصة حب أعظم من (روميو وجولييت) تخجلني كلماتك فيرتفع ضغط الدم في عروقي و ينفجر في وجنتاي كاسيا إياهما بلون وردي، يعكس كل ما يدور بداخلي يفضح ويفصح عن كل ما يجوب في قلبي ومشاعري، يكشف عن ذلك الصراع الذي يتملكني، عن مدى إعجابي بكلماتك، بشخصك، بأسرك....

أوصلتني إلى المنزل رغم اعتراضي لم تعجبك حقيقة أني أعترض على كثير

من الأشياء، لكن رغم انزعاجك كنت مليئا بالحيوية تتحدث وتضحك وتغني، غريب هذا الجانب لم أره فيك من قبل، الجانب المرح لم يكن ضمن جوانبك كنت تظهر فقط الصرامة والجدية ظننتك شخصا لا يعرف للفكاهة سبيل، لطالما أخبرتك أننا يجب أن نستعمل بعض التفاهة في حياتنا أن ننسى أنفسنا وننطلق بتهور، أن نرقص على أنغام أغنيتنا المفضلة أو أن نضحك حتى تنهمر دموعنا، أن نقفز دون أن نراعي كل ما يدور حولنا، كنت تمسك يدي بين يديك وتقبلها ثم تشد عليها بقوة قائلا: «وليكن فلننسى أنفسنا إذا، أنا أنسى الكون وكل ما أعرفه وما عرفته يوماً عندما أكون في حضرتكِ، فقط عندما أمسك يدكِ يختفي كل ما حولي كأنني في عالم آخر لم أره من قبل، كأنني مررت عبر ثقب أسود وسافرت إلى بعد آخر»، لقد ذكرت من قبل أني أنتشي بتفكيري بكَ، فما بالك إذا كنت بجانبي تضحك وتبدو عليك السعادة، كنتُ في قمة سعادتي، وصلنا فترجلتُ من السيارة وذهبتَ أنت بعد أن تمنيت لي يوما سعيدا ولوحت مودعا، أحسست أن جزءا من سعادتي لا يزال قابعا في سيارتك، لم أكن بنفس مقدار السعادة من قبل.

* * * *

التفكير في الحديث الذي أجريناه صباحا يوترني، يوترني كثيرا، أنت تحبني، أنت تريدني، لم يكن ما أكنّه لك وهم بل جلّ ما أحسسته تجاهك أنت

من أرسلته لي فما كان علي إلا القيام بالمثل، قمت بذلك دون أن أشعر. كنت أخاله حبا من طرف واحد، لكنك تحبني، كانت تؤرقني حقيقة أن أكون أنا فقط من يكن مشاعر الحب لك، فالحب من طرف واحد حب عقيم لا جدوى منه لا يجلب سوى الألم، كنت أسعى جاهدة لكي أنتشلك مني، من عقلي وروحي والأصعب من ذلك كله أن أنتشلك من قلبي الذي أصبح ينبض باسمك منذ عرفتك، والأدهى والأمر كياني الذي أصبح مرتبطا ارتباطا كليا بك، لكن كل محاولاتي باءت بالفشل، لازلت لا أصدق أنك حدثتني صباح اليوم عن ما يختلج صدرك وعن مشاعرك، لم أنتظر حركة كهذه من رجل غامض مثلك، أبدو كالمجانين الآن لا أعلم كيف أنظم أفكاري أو بالأحرى لا قدرة لي على ترتيبها، أجلس بشرفة المنزل أحمل بين يدي كوب قهوة عساه يساعدني على الاسترخاء، أستمع إلى معزوفة Moonlight sonata التي ألفها بيتهوفن من أجل حبيبته جولييتا غويتشاردي، أيمكن أن تنشأ بيننا قصة حب كالتي كانت بينهما، أيجمعنا

حب كالذي جمعهما فقد جمعهما حبهما للبيانو وفرّقهما اختلاف الطبقات الاجتماعية، ونحن أيجمعنا الحب ويفرقنا القدر؟ فالفراق رفيق العاشقين، لكني أتمنى من أعماق قلبي ألا تكون نهاية قصتنا مماثلة لنهايتهما. تحمل هذه المقطوعة موجة من الأحاسيس تصل

إلى قلب المستمع فيعرف مباشرة ودون الحاجة إلى الرجوع للتاريخ أن من ألف المقطوعة قلبٌ عاشق، لطالما آمنت أن قلوب العشاق تتعرف على بعضها البعض بسهولة، فهالة الهيام التي تحيط قلب كل عاشق تظهر لكل من يمر بنفس حالته، ومن هنا تتأكد لي فكرة أن قلوب العشاق لا يمكن حجبها أو إخفاءها...الهواء عليل والمنظر خلاب، كل هذا كفيل بأن يهدئ من روعي ويساعدني على تنظيم أفكاري لكن ودون سابق إنذار يمر شريط اليوم أمام عيني مرة أخرى، فتتشتت أفكاري أكثر وأكثر، تتبعثر داخل عقلي في جميع الاتجاهات، لا أنكر أنني حرفيا أكاد أطير من السعادة لكن الحيرة تتملكني، لقد كنت أنتظر أن أعرف هذا الموضوع على أحر من الجمر، وبعدما عرفته لم أعد أستطيع أن أقرر فلست من النوع الحازم في اتخاذ القرارات عادة فما بالك وأنا أحمل هذا الشعور، ترى ماذا يجب أن أفعل؟ أتبع عقلي وأواصل تحليل وتقييم الأمور؟ أم أتبع قلبي وأقبل دون أي سابق تفكير؟ أأتهور وأفعلها؟

أطرحُ الأسئلةَ منذ عرفتكَ, تحيطُ بكَ الألغاز من كل جهة ولا طاقة لي في إيجاد إجابة، أصارع أفكاري ولا قدرة لي على اتخاذ قراري جاءتني رغبة في الكتابة، أخرجت دفتري ورحت أخط على أسطره بعضا من تشتتي وحيرتي، كنت أكتب بيد مرتجفة

Standing on the balcony…
Thinking about you and me
What are we?
And what are we going to be?
Are you my friend?
Or you are the one who will bring my end?
Are you my faith?
Or you are just another visitor that will turn up to be fake?
You offered me love and I don't know whether to leave it or to take
I don't know if I should surrender to what I feel
Maybe you will hurt me and I don't know how to heal
Maybe it will work if we make a deal
My heart is something you should never steal
And if it happened and you hurt it, you

should help it redeem
You are not allowed to leave
Next to me you shall live
Until the day destiny turns us apart then you
I shall forgive
Love needs someone who believes
And am a believer
Are you?

لأول مرة لا أمنح لإحدى كتاباتي عنوانا، لا قدرة لي على أن أفكر في شيء سواكَ، أواصلُ التفكيرَ وتقيدني حبالهُ بالأحرى تخنُقني لا أَستطِيعُ الهربَ منهَا وحتى إنْ تمكنتُ من ذلكَ بمساعدةِ معجزَة فلا يوجدُ مكانٌ للاختباءِ، شعورٌ لاَ أحسدُ عليهِ... الفكرة التي تجوب ذهني هو أنَّ كلَ ما حدثَ لي معكَ لحدّ الآنْ لمْ يكنْ بمحضِ الصدفةِ لا يمكنُ أنْ تكونَ صدفةٌ، أوَ تعلمُ ماذا...سَأجازفُ، سأتجاهلُ كل الشك الذي يراودني و أقبل اقتراحك، سأكون لك ومعك، سأبني برفقتك قصة عشق عظيمة سيكون حبي لك أعظم من حب كل العاشقين الأسطوريين مجتمعا، سأمسك يدك وأخطو إلى جانبك أول خطوة على هذا الدرب، لا أعلم ما الذي تخبئه رحلتي عبره لكنني سأسلكه، سأخوض هذه المغامرة متجاهلة الغموض الذي يحيط بها.

أخيرا استطعت أن أقرر بالرغم من كل الضغط الذي عايشته، كما قررت كذلك أن أنتظر اتصالك لأعلمك بقراري، لم تخبرني في آخر لقاء بيننا أنك ستتصل بي لكن إحساسي يخبرني أنك ستفعل، لطالما تجاهلته لكنه في الوقت الراهن ورقتي الرابحة الوحيدة، لا أدري إلى أين تصل الأمور المبنية على الحدس فأنا إنسانة أخضع لكل ما هو عقلاني، حتى أني كنت لا أؤمن بوجود الحاسة السادسة، لكن أنظر إلي الآن، إن كل شيء يخصك يغير طريقة تفكيري ويغير أمورًا لطالما آمنت بها، غريبة هي قدرة الحب على تغيير الإنسان، هو تغير لا إرادي لكنه شديد الوضوح، أتعلم أني لم أكن أؤمن به أيضا وها أنا ذا أعيشه الآن ومتأكدة من وجوده، كأنك ألقيت علي تعويذة سحرية جعلت مني إنسانة جديدة كليا جل ما أتمناه هو ألا ينقلب هذا التغيير ضدي.

اتصلت بي في تلك الليلة، أتراك أحسست بي؟ أم أنه نوع من أنواع التخاطر الفكري؟ أم أنك اشتقت لي؟ سأعيد ما أقوله عنك دائما تجعلني أطرح الأسئلة بصورة مبالغ فيها، فأنت تنطق الحرف الأول من الكلمة و يتوجب عليَ أن أعرفها، أجبت اتصالك وأنا في حيرة لا أدري كيف أخبرك بقراري، إن الكلمات تخونني في حضرتك، كيف لا وأنا أحدث ذلك الشخص الذي قربه فقط كفيل بزعزعة كياني كله، حقا ليس من العدل أن ألومُ الكلماتَ عندما تتبخر في وجودكَ، ولا

أن ألوم قلبي المنتشي برؤيتك لا يلام العاشق فما بالكَ بقلبهِ. نبرة صوتك تدل على أنكَ مرهقٌ جداً كأنك لم تنم منذ قرون، قلتَ بكلمات متثاقلة:

– الرائعة... كيف حالكِ؟

– الحمد لله كيف حالك أنتَ؟

– بما أنني أسمع صوتكِ الآن فأنا بخير والحمد لله، لقد اشتقتُ لك كثيرًا.

– تبدو متعبًا، كأنكَ لا تنام.

– حقا لا أنام جيدًا مؤخرًا...

– لماذا؟

– هناك أمور عالقة أسعى لحلها.

– أيمكن أن أعرف ما هي هاته الأمور؟

– هناك موضوع لم ننه مناقشتهُ في آخرِ لقاءٍ بيننا.

– نعم... أنا كذلك كنت أنوي محادثتكِ في هذا الأمر.

–إذًا ما الذي يؤخركِ؟ أخبريني.

– لقد فكرت مليًا في الأمر الذي تحدثنا عنه المرة الماضية، أُنظر لا أريد أن أطيل الحديث، وأن أسردَ مقدمات لا جدوى منها.

– إذًا أخبريني لقد نفذ صبري

–جلّ ما أريد قوله أني موافقة أن أسير معكَ في دربٍ واحد.

-حقًا؟

- نعم

- أنتِ جادة أليس كذلك ؟

- نعم... أريد أن أكون معك في هذا الدرب، أن أعرف معنى الحب برفقتك.

- أكاد لا أصدق، أنت يا رنين من يقول هذا أيحق لي الآن أن أصرخ وأقفز فرحًا؟ أيحقّ لي أن أقول أني أسعد رجل على وجه المعمورة؟ إنكِ لا تعلمين مقدار السعادة التي زرعتها بداخلي إن قلبي حرفيا ينبض فرحا، لا تعلمين كم أراحتني كلماتك..... ، أعدكِ أني لن أتوقف عن حبكِ ما دام قلبي هذا الذي بفضلك أصبح يضخ السعادة في عروقي ينبض، من الآن فصاعدا إنه ينبض لك، أنت سيدة هذا القلب وهو تحت إمرتكِ ما دمت أتنفس.

كلماتكَ جميلة أحبكَ عندما تتحدث أسمعكَ بكل حواسي وأتأثر بكل كلمة تقولها كأنني لم أسمعها من قبل، صوتكَ يعطي الكلمات رونقًا لم أعهده أبدًا أقل ما يمكنني أن أقول عنه أنه أسطوري، لدرجة أن أفكاري تهجرني ساحبةً خلفها الكلمات فأصاب أنا بحالة من الذهول ولا أقوى على الرد، أتعلمُ أني أرتجف الآن؟ يمكن لأني أحن لتلك الأيام، أو لأن ذكراكَ فقط كفيلة بأن توترني.

دعنا من هذا الحاضر الكئيب ولنعد لتلك الذكرى، أتذكر أني لم أقوى على الرد حينها؟ اكتفيتُ بالصمت حيث أنه لا توجد كلمات تضاهي جودة ما قلتهُ حتى أرد عليكَ بها، سألتني لماذا أنا صامتة هكذا فأجبتك أني أشعر بالخجل، فضحكتَ قائلا:

-إنني أعشقُ خجلكِ هذا.

فلم يزدني قولكَ ذلك إلا خجلاً وغرقتُ في صمتي من جديد، جريءٌ أنتَ وهذا ما جعلني أعشقكَ، لا تجد صعوبة في قول أو فعل أي شيء أحسدكَ على جرأتك فأنا من النوع الخجول، أنا متأكدة أني لو ملكتُ نصفها لصرختُ قائلةً: أني لا أقوى على بعدكَ عني كنت قلت أنك أهم ما في حياتي، لو ملكت القليل من جرأتكَ ما كنت أتلوى الآن من ألم فراقكَ، لو تحليت ببعض منها كنتُ واجهتُ الواقع، لكنني للأسف كنتُ ومازلتُ خجولة.

تحدثنا كثيرا تلكَ الليلة كان كلُ واحدٍ منا يحملُ الكثيرَ من الكلامِ داخلهُ، كأننا كنا نخبئ هذا الكلامَ بحثاً عن الشخصِ المناسبِ ليسمعهُ، كأن هذا الكلام هو تراكماتُ أعوام من الصمت، تراكماتُ أعوام انتظار شخصٍ يفهمَ كل كلمةٍ مما قيلَ، تطرقنا في حديثنا للعديد من المواضيع، وناقشنا الكثير والكثير من النظريات والمفاهيم، تحدثنا عما نحب وما نكره و كنا نتفاجىء من كثرة الأمور

والصفات المشتركة بيننا حتى أنك قلت لي بنبرة تعجب:
أنتِ حتما تقرئينَ الأفكار.
– لماذا لا تكون أنتَ من يقرأُ الأفكار؟ فأنتَ من يتجلى على محيّاه الغموض، لذلك يمكن أن تكونَ هذه إحدى صفاتك الخفيّة.
ضحكت من مزحتي قائلاً أنّ خفة دمي هي أحد الأسباب التي جعلتكَ تعشقني، ثم قلتَ أنّ كلّ شيء أقولهُ أو أقومُ به يجذبكَ ناهيك عن نظراتي وكيفَ أشبهُ أميراتَ العصر الفيكتوري في كل تصرفاتي، لم تغادر جملتك تلك عقلي لاسِيّمَا عندما قلت (كأّن رقي العالم كله قد اجتمع فيكِ ولا يأسر قلب الرجل شيء كما تأسره المرأة الراقية) حيرتني مقولتك فسألتك: كيف لقلب الآسرِ أن يؤسرَ؟
– وكيف لا، عندما يتجسد المستحيل في امرأة.
تتعمد إخجالي، لكنني أحب كلماتك فلا أقوى على إسكاتك، نظرت إلى الساعة فوجدتها تقارب الرابعة صباحا، حقا لا أدري كيف مر الوقت لكنني فهمت أنه في أسرك لا يصبح للوقت سلطة كل شيء في حضرتك يتغير ويصبح تحت إمرتك، لقد حان وقت إنهاء هذه المحادثة.
– لقد تأخر الوقت أليس كذلك؟
– يبدو أنك تشعرين بالتعب؟
– نعم، لم أتعود على السهر لهذا الوقت المتأخر

– إذن حان وقت الذهاب.

– أظن ذلك.

– أنا أسعد شخص في الوجود أو بالأحرى لقد جعلتني أسعد إنسان على وجه الأرض، أسأل الله أن يديمك بجانبي فلا معنى لحياتي إن لم تكوني فيها.

– أنا كذلك لا أقوى على وصف مدى سعادتي.

– ليلة سعيدة يا نبض قلبي.

– ليلة سعيدة و أحلام هنيئة.

لا يمكن لأحد أن يحرز مدى سعادتي، حتى النوم الذي تسلل لجفوني وأنا أحدثكَ تلاشى فور تفكيري بكَ، استخرجتُ دفتر أشعاري ورحتُ أجسد على صفحاتهِ سعادتي وفرحي لطالما كان رفيقي وملاذي الوحيد

In this time am thinking
How day by day am sinking
Everything in me due to you is changing
What a feeling…
The heart that I used to call broken is healing
Day by day am falling

In your world am drowning
Every word you say kills me softly
And when I talk to you I feel like am on the edge of glory
You brought me back to life
I've never felt so alive
You make me feel so free
You are the world to me
You make me feel so transparent and pure
I feel that to my broken soul you are the cure
I hope that Allah keeps you next to me
Because I feel that from the entire world you are the right one for me

كنت أشعر بالسعادة وأنا أكتب هذه الكلمات حتى أني لم أفكر فيما أنا بصدد كتابتهِ كأَّن كل إلهام العالِم انسكب في عقلي، أسميت هذه الخاطرة (أول خطوة) فهي تحكي عن أول مرةٍ تكلمنَا فيها ونحن نعلمُ

أننا على نفس الدرب، نمت تلك الليلة وكأنني لم أذق طعم النوم طيلة حياتي، جميل هو الشعور الذي يخلّفه الحب في قلوبنا لا يمكن وصفه بلفظ محدد جلُّ ما يمكنُ قولهُ عنه أنه مزيجٌ بين العديدِ والعديدِ من المتضاداتِ التي لم نكنْ نعلم أنها يمكن أن تجتمع في شيء واحد، لكن في نفس الوقت غريبٌ جدًا ما أحسُّ به رغم جمالهِ، يبعث في نفسي شيئًا من الرهبة، لا أعلم لماذا ولا أستطيع أنْ أضع فرضية حول ماهية هذا الشعور، فأنا في وضع غير متزن البتة، أعود لأطرح نفس السؤال كيف لشخص أن يحس بالسعادة والخوف في آنٍ واحد؟ أو أن الحب يصيب الإنسان بانفصام في الشخصية، أم يجعله أقرب ما يمكن إلى الجنون، لا شك أن عبارة مريض الحب كانت وليدة حالاتِ العشاق التي لا تترتب إلا عن مرض ما .

نهضتُ في الصباح التالي بفرطِ نشاط غريب، كانت شهيتي مفتوحة لكل شيء بأصحِ القول مفتوحة للحياة، كنتُ أوزع ابتساماتي وأدندنُ الأغاني، أستنشقُ الهواءَ بكل مساماتي فقدْ كانَ عَبَقُ حبكَ يملؤ الجوَّ، أردتُ أنْ أشاركَ العالمَ سعادتي وسروري كوني وجدتُ ضالتي المنشودة كوني وجدتكَ، فقدْ رسمتُ صورتكَ في خيالي وخفتُ ألاَّ تصبحَ حقيقة، لكنْ هَا أنتَ ذَا، أكادُ أجزمُ أنَّ هذا حلمٌ، إنَّ ألفَ ركعةَ شكرٍ ليستْ كفيلة لتصفَ مدى امتناني لله عز وجل لأنهُ سبحانه أنعمَ علي بكَ اتصلتَ بي فما زادني اتصالك إلاَّ فرحًا، وكل مرة أسمع صوتك ترتخي

أعصابي ويرفرف قلبي فما يزيدني ذلك إلاَّ تعلقا وعشقا، لقد أخبرتني في اتصالك هذا أنه من الرائع أن يكون صوتي أول ما يتلقاه سمعك، قلت أن صوتي يريحك مثلما تريح الصلاةُ المؤمنَ، تقول أني إكسير الحياة خاصتك، تجيد التلاعب بالكلمات كثيرا، تحدثنا قليلا ثم عرضت علي أن نقضي اليوم سويا وأنا تلك المشتاقة لنظرات عينيك وعذوبة عطرك، فما كان عليّ سوى أن أجيب بأصدق نعم قلتها في حياتي كانت صادرة من أعمق مكان بداخلي، ليس من الصعب عليّ أن ألاحظ مدى السعادة التي تجلت في نبرة صوتك عندما وافقت، فقلت أنك ستمر لاصطحابي في تمام العاشرة مما يعطيني ساعة لأجهز نفسي، لست من النوع المبتذل الذي يطيل التّجهز ويكثر من وضع المساحيق، كنت أركز على أن أكون أنيقة وأضع من المساحيق فقط ما يبرز ملامحي، دائما تقول أنك تعشق عفويتي ومنظري الطبيعي، وأنا طبعا كنت مقتنعة بكلامك ذاك إلى أبعد الحدود.

اصطحبتني إلى مكان لم أزره من قبل، لكنْ أقلُ ما يمكنُ قولهُ عنه أنه خلاب، مزجَ بين اخضرارِ الطبيعة والرمالِ الذهبية وزرقة البحر الأسطورية، للمكان رونق خاص يجعلك تسترخي وتبتسم كأنه سحر، أتممت تعويذتك بكلماتك الموزونة كأنها أبيات شعرية، كأنك يا آسر تتعمد أن تربط كل شيء يبهرني بك، كأنك

علمت أنك لن تطيل البقاء فحرصت على ربطي بالذكريات. لقد مرّ ذلك اليوم بسرعة أعلمُ جيدا أنّ الأوقات السعيدة تنتهي سريعًا، لكنْ بجانبكَ تمرُّ حرفيًا بسرعة الضّوء، كانَ اليوم رائعًا لدرجةٍ مبالغ فيها فجمالُ المكان وجمالُ رفقتكَ شكلا ثنائيًا لا يقاومْ، أستطيعُ وبكلِّ طيبِ خاطرٍ أنْ أُفْنِي عمري حبيسة تلكَ اللحظَة، كما لا أمانع أن أقضيه أسيرةَ حبكِ، لا أستطيع تجاوز ذلك المشهد عندما شغلت أغنية I have nothing « ويتني هيوستن» جل ما استولى على تركيزي هو طريقتك في الغناء، أتعلم أن هذه الأغنية تمثلني وبشدة فأنا لم أعرف الحب إلاّ بك، ولا أملك شيئًا إذ ما خسرتك، أنتَ تقرأ أفكاري وترى ما يدور بداخلي وتخرقُ كل قوانيني بحبكِ، والآن كل ما تبقى لي ذكرى وها أنا أتشبث بها بكل ما أوتيتُ من قوة، لا يمكن أن أنسى طريقتك في الغناء و تعابير وجهك التي جعلتني أركز مع كل حرف في الأغنية، لا يمكن نسيان ذلك اليوم حتى و إن أردتُ هذا، جل ما أحسستهُ فيه جعله مختلفًا لا ينسى، من كان يظن أن كل ما يحدث لي معك مؤقت، سعادتي تلك مؤقتة، وجودك كان مؤقتًا.

أعدتني للمنزلِ بقلْبٍ يعزفُ أسْمى ألحان الهيام، قلبٌ لو كان الأمر عائدًا له ما فارقك و لو للحظة واحدة، الآن فقط فهمت الشبهَ بين الحب والتنويم المغناطيسي كلاهمُا يذهبُ العقل، ودعتك كعادتي

وقلتَ أنكَ ستتصلُ بي كعادتكَ، عندما أفارقكَ لا أحب أن يغادر صوتك أذني تجدني أتسلل إلى المنزل ثم إلى غرفتي وأنام عسى أن أكملَ لقاءنَا في حلمِي، فللعشقِ طقوس وجب احترامها، ودائماً تكونُ أنتَ من يوقظني من ذلك النوم، لنتحدث لساعات ونقضي الليلة في المناقشات الفلسفية والأحاديث المضحكة، فأتمنى أن لا يبزغ الفجر لتطول أحاديثنا ولا تنتهي، لكن للأسف لا بد لها من ذلك، شأنها شأن أي شيء في هذه الحياة فلا المر يدوم ولا الحلو يدوم، كل شيء يضمحل ويزول صحيح أن طريقة الزوال تختلف، لكن ألمه واحد ذلك الألم الذي يمزق أوردة القلب ويدميه ويمنعنا من مزاولة حياتنا بشكل طبيعي.

لمْ تتصل بي وأقلقني ذلكَ، لقد خفتُ كثيرًا عندما لم أجدْ اتصالكَ خفتُ منْ فقدانكَ من أنْ تكونَ قد ذهبتَ، أنتَ لا تنقض وعدًا قطعته أبدًا لكنك وعدتني أنك سَتُحادثُنِي ولم تفعلْ، ماذا عساهُ يكون منعك من ذلك؟ أَيُعقَلُ أنهُ أصابك مكروه ما؟ حملتُ هاتفي وطلبتُ رقمكَ على أملِ أنكَ من سيجيبُهُ، قلبي لمْ يكن مرتاحًا وكان شُعورِي يُنَبِئُنِي بوجودِ خطبٍ مَا. اتصلتُ بكَ ثلاثَ مراتٍ لكنْ ما منْ إجابة، ازدادَ شعورِي بالخوفِ ورحتُ أؤلفُ حكاياتٍ حولَ ما يمكنُ أنْ يكونَ حدثَ لك، عاودت الاتصال بك وكانت المحاولة

السادسة، أجبتني بحروف متثاقلة كأنها ترفض الخروج من بين شفتيك

– أهلا رنين كيف حالك؟

– أهلا... هل أنت بخير؟

– الحمد للّه، لقد كنت نائمًا.

– لهذا السبب لم تجب على اتصالاتي، أنا آسفة لقد اتصلت بك كثيرًا من فرط قلقي عليك عندما لم أجد اتصالك خفت أن يكون أصابك مكروه ما، لكن الحمد لله أنك بخير لقد ارتاح قلبي الآن.

لقد كنت متعبًا للغاية فقلت لم لا أنام قليلا ثم أتصل بكِ، لكنني أفقت

– الآن على اتصالك أنا آسفٌ جدا لإخافتك غاليتي.

– لا عليك، جل ما يهمني أنك على ما يرام

– طالما أنكِ موجودة في حياتي سأكون دائما في أفضل حال، فقد عانيت من كوني في حالةٍ مزريةٍ قبل أن أعرفكِ وخرجتُ منها فَورَ وقوعِ عيْنايَ عليكِ في تلكَ اللحظةِ أيقنتُ أنكِ ملاكي المنقذ، وها أنا الآن أتأكدُ من كونكِ ملاكي الحارس أيضًا أدعو الله أن لا يحرمني رؤيتك ما دمت على قيد الحياة.

يقولون أن وعود العشاق لا تتحقق ولا تصمد أمام ضربات الحياة فتكسر عند أول هجمة وتسقط عند أول شجار، لا يمكنني أن أثبت صحة هذه المقولة ولا أملك القدرة على نفيها فلعبة الحب

مليئة بالاستثناءات، لكن جل ما أنا متأكدة منه أنك ستبقى داخل قلبي حتى آخر نبضاته، أعلم جيدًا أن هذا ليس وعد عاشق منتشي بنسمات الحب إنها حقيقة لا يمكن أن تتغير فالحقائق ثابتة.

– معكِ حق، لطالما كنتُ شخصًا يثق كل الثقة أن كل شيء في حياتنا يتغير لكنني أدرك أن كل ما يتعلق بك استثنائي، لذلك أعلم أنَّ كلامك غير قابل للتغير أحس بكلامك إني أسمعه بقلبي لا بأذني.

– وأنا كذلك كلامك يخترق قلبي مباشرة.

– وهذا هو الحب في أسمى معانيه.

– كل يعرف الحب بمنظوره الخاص.

– وأنا أفهم معناه فور رؤيتكِ.

– لقد أخجلتني حقًا.

– إنها الحقيقة جميلتي.

– الحمد لله أننا نتكلم الآن لثانية خلت نفسي فقدتك.

– إن شاء الله لن نفترق أميرتي فنحن قبل أن تلتقي أعيننا التقت أرواحنا وحتى إن لم تلتقي النظرات فالأرواح لا تفترق، آسف أني أخفتك حبيبتي.

لا عليك لقد كفرت عن ذلك بحديثنا هذا.

– الآن أخلدي إلى النوم فلا أحب أن أكون سببًا في انتفاخ عينيك الجميلتين.

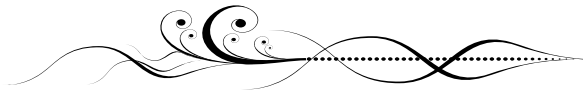

– أشرفت الشمس على الطلوع لا وقت للنوم الآن.

– معكِ حق.

– الأَصّح أن تقول حان وقت استقبالِ يوم جديد بابتسامة مشرقة.

– أنا الوحيد الذي يحق لك استقباله بابتسامة كتِلْكَ.

– هل يمكن لشخص أن يغار على من يحب حتى من أشعة الشمس؟

– هذا شيء بديهي عندما يكون الحب صادقًا، يغار العاشق حتى من نسمات الهواء التي تداعب وجه حبيبته حيث يصبح الوحيد الذي يملك الحق في النظر إليها أو حتى لمسها.

– أَلاَ يعتبرُ هذَا تَمَلُكًا؟

– ليس تملكا بمعناه الصريح لكن جلُّ ما يمكن قوله عنه أنه أحد القواعد التي يبنى عليها الحب، إنه أحد الأساسيات التي لا يمكن الاستغناء عنها.

– أتظّن ذلك؟

– بالطبع

– حسنًا أنا أوافقك الرأي.

– وأين ذهب عنادك الفطري ذاك؟

– لا أَعلم فأنا أجد كلامكَ صحيحًا لذلك لا جدوى من العناد هنا.

– يبدو هذا رائعًا.

– أتبعتَ جملتك هذه بضحكتكَ المعتادة، رفرف قلبي فور سماعها فقد اشتقت لها كثيرًا ابتسمت وقلت لك: حانَ وقْتُ الذّهَابِ الآنْ إنْ شاءَ الله سَنَتَحدثُ لاَحقًا.

– إنْ شاءَ الله حفِظَكَ اللهُ أمِيرتي.

– مع السّلامة.

* * * *

قلبي يؤلمني، أيمكن لهذا الألم أن يقتلني؟ وإن مت هل يمكنكَ أن تدفنَ قلبي كما دُفنَ قلبُ شوبان؟ الذي روى أعظم قصة عشق، أتكون هذه وصيتي؟ أنْ يُدفَنَ قلبي الذي قَتلني في مدينة منْ أَحْبَبْتُ.

تعجبني هذه الفكرة كثيرا، فكرة تصدرُ من عَاشِقٍ عظيم، وعشقي لك كانَ ولاَ يَزَالُ عظيمًا، فهو منْ فتَكَ بي وإنْ مِتُ فَعِشْقُكَ كانَ آخرَ وأولَ شيءٍ عاشَ بقلبي، فالأَصَّحُ أنْ يَتِمَ تَكريمُ هذا القلبِ لِكُلِّ الآلاَم الّتي مرّ بها فَضعفتْ قِوَاهُ حَتَى تَوَقَفَ عَنْ الخَفَقَانِ، أَيُعْتَبَرُ هَذا انتحارًا؟

فأنا أعلمُ جيدًا نَهَايتي وَلَمْ أَكْفُفْ دَقيقة عنْ حُبِكَ وَهَلْ أجْبن خَوْفًا مِنَ الموت؟ أمْ أجبن لأَنِي إذا مِتُ سوفَ أَفْتَقدُكَ للأَبَدْ؟

إِذَا مِتُ سَوْفَ تَفُكُ أَسْري وَأنا لَا مَأْوى لِي دُون أَسْرِكَ، أَحْكِمْ أَسْرِي

وشُدّ أغلالي، هَلْ يمكنُ أنْ نُسَمِي الأَسْرَ جَنَةً؟ أوْ هَلْ يَعْشَقُ كُلُّ سَجينٍ سَجّانَهُ؟ أوْ ماذا؟ يَكَادُ عَقْلِي يَنْفَجِرُ تَتَسَارَعُ الأفْكَارُ فِيه لَكْن دُونَ جَدْوَى، كُلُّها تَعُودُ إلى نُقْطَة الصّفر أَو بالأحْرَى نُقطة حُبِي لك، نُقْطَة بَدَايتي ونهايتي فَهَلْ

أَكُونْ مِثْل «شوبان» يَا آسِرِي؟ يُذْكَرُ اسْمِي فَيَقولون ماتت بِحُبٍ و يخلّدون في شَرَفِ ذِكْرَاي مَقُولة «ومِنَ الحُبِّ مَا قَتَلْ».

* * * *

أتذَّكرُ أيامنا فتنهار قواي وتزداد جرعة الألم التي تسري في عروقي، أحقا لن تعود الأمور بيننا إلى سابق عهدها؟ أفعلا ذهبتَ للأبد؟ تاركًا إيَّاي أُصارِعُ شبح الذكرى وحيدة، رغم أنّك أكثرُ النّاس علمًا كيف تبطش الذّكريات بروحي وكيف تتفنن في إيلامي، وتتلاعب بحالتي النفسية فتارة تبكيني وأخرى تجعلني أبتسم، لقد تعلقتُ بك كثيرًا فلم أقوى على تقبلِ غيابك لم أقوى على تقبل فكرة أنّك لم تعد موجود في حياتي، فكرة أنّي لن أغرق في بحر عينيك بعد اليوم، أصْبَحَت لحظّة فراقنا كابوسٌ أستيقظ صارخة منه كلّ بضع ليالي، فور استيقاظي أحمد الله أنه مجرد كابوس، لكنّني في ثانية أدرك أنها الحقيقة بأمّ عينها، فتفيض دموعي مواسيةً إيَّاي في

وحدتي ومعبرة عن مدى حزني ومقدار وجعي، تحرق تلك الدموع وجنتاي تماما كما يحرقُ غيابك قلبي أتمنى أن ينتهي هذا الألم، أن أستيقظ على حقيقة أنك وكلّ ما مررتُ به معك مجرد حلم لا يمت للواقع بِصِلَة فترتاح نفسي، لقد ذِقت ذرعًا من كل هذا الحزن الذي يحوم حولي وأرى ظلامه أينما نظرت، هل يمكن لهذا الظلام أن ينقشع؟ أتلامس أشعة الشمس جفوني من جديد؟ هل سأحس بجمال الأشياء وأنت بعيدٌ عني؟ أيأتي ذلك اليوم الذي تهجرني ذكراك تمامًا كما هجرتني؟

رغم حبي الشديد لك، لم تعد لي القدرة على التمسك بشبح حبك الذي جرني معه إلى عالمٍ ما بين الحياة والموت فلَسْتُ مرتاحةً كالميتينَ ولا أعيشُ حياتي كالأحياء، محجوزةٌ أنا بين عالمين ولا أنتمي لأي واحد فيهما.

* * * *

أَتَذْكُرُ اليوم الذي قضيناه في الجبل؟ كانت الطريق إلى هناك وعرة، لكن رغم ذلك أحببتها كثيرًا، يبدو أن جمال الأشياء بالنسبة لي يزيد كلما زادت صعوبتها أسندت رأسي إلى مقعد السيارة وسرحت مع المناظر أتأمل روعة الطريق المتوغلة في وسط الجبل وجوانبها المحفوفة بالأشجار، حيث أنني أستطيع ملامسة أوراقها إذ ما مددت يدي من النافذة, وما زاد اللحظة رونقا صوت «YUNA» وهي تلامس قلبي وتلعب على

اوتار احاسيسه بأغنية « COME AS YOU ARE» تتَنَوعُ الأحاسِيس في هذه الأغنية بين حبٍ واشتياق، تعّبرُ عنْ جميعِ الأفكارِ التِّي تَجْتَاحُ عَقْلنا عند التفكيرِ في من نحب فتُبْحِرُ بالعَاشِقِ إلى عالم بعيدٍ كلّ البعدِ عنْ الوَاقع والمنْطِق. التفتُ ونظرتُ إليك كنتَ مرَّكزًا معَ الطّرِيقِ تُدَندنُ كَلِمَات الأغنية، أعلمُ أنَّك سَعيدٌ بوجودي قربكَ، أَرَى تلك اللَّمعة في عينيك وأفهم نظراتك حتى وإن لم تكن موجهة إلّي، تحّب هذه الأغنية كثيرًا مثلي تماما يعلو صوتك عند وصولك لكلمة «ذكرى» وكأنك ترسل لي إشارة بأن قصتنا مستقبلها الوحيد يتجسد في تلك اللفظة أو كأنك ذقت ذرعًا من الذكريات فأصبحت هذه الكلمة تشكل هاجسا بالنسبة لك، لم أولي تلك اللحظة اهتماما كبيرًا آنذاك لكنني فهمتها الآن بعد فوات الأوان. كانت تلك الرحلة جميلة بشكل كبير لا تؤلمني كثيرا عندما تخطر تفاصيلها على بالي، ربّما ذلك راجعٌ لتواجد العديد من أصدقائنا فيها، لم تكن جميع لحظاتها تتمحور حولنا فقد جمعت عفوية «ألين» وخفة دم «كريم» وحس «يارا» الفني والكثير من مزايا الأشخاص الذين شاركونا فيها.

لم تكن مسرورًا كنت ترمقني بنظرات حادة إذا ما أطلت الحديث مع أحد الشباب، وتصبح تلك النظرة وحشية إذا كان «كريم» هو

من يكلمني لكن جل ما أقوم به في تلك اللحظة هو تجاهل نظراتك وإكمال حديثي وذلك ما يجعلك تستشيط غضبا فتصبح ملامحك الناعمة عبارة عن كتلة

من الغيظ والشر، وصادف في تلك الرحلة أنني كنت أساعد الفتيات في تهيئة المكان للجلوس حين باغتني «كريم»و أخذ قبعتي، طلبت منه أن يعيدها لي لكنه رفض قائلاً :»تعالي وخذيها بنفسك يا قصيرة»، تضايقني كثيرًا تلك الكلمة فذَهبتُ لاسترجاعها وكان هو يراوغني، لسوء الحظ أنك رأيت ما يحدث فتقدمتَ مسرعا كالقطار المميت أكاد أقسم أني رأيت الدخان يتصاعد من أذنيك، انتزعت القبعة من يده دون أن تنظر إليه أو أن تنبس ببنت شفة ثم نظرت إلي بصرامة قائلاً: «أريد التحدث معك»،

كنت أعلم أنك غاضب و أعلم جيدًا أن غضبك لا تحمد عقباه، في تلك اللحظة كاد الدم يتجمد في عروقي لكنني تبعتك في صمت جلسنا وقلتَ:

– تعلمين جيدًا كم أكره أن يحاول رجلٌ التقرب منكِ بأي شكل من الأشكال، كما تعلمين جيدًا أنه لا يعجبني ذلك المدعو (كريم) ولا تعجبني الطريقة التي ينظر إليك بها فما بالكِ عندما أراه يلعب معك ويحدثك.

– أعلمُ أنّكَ تغضب إذا حاول أحد أن يحدثني لكن كريم بمثابة أخ لي فأنا أعرفه منذ أن كان عمري ست سنوات.

– كم من مرّة يجب أنْ أقولَ لك أن الرّجل لا يمكن أن تربطه علاقة صداقة بامرأة؟ أخوك هو ذاك الشخص الذي يحمل نفس اسمك وتشتركان في نفس الوالدين، أي رجل آخر هو شخص غريب، متى ستفهمين هذه الحقيقة؟ أعلم كم أنت بريئة ولا أقبل أن تستغل براءتك هذه أو تفهم بصورة خاطئة من قبل أيّ شخص أيَا كانت صفته، أرجو أنْ تكوني قد فهمتي كلامي يا رنين

– تعلم رأيي جيدًا في فكرة أن شخصا يحاول السيطرة عليّ أو على تصرفاتي أو أن يرمقني بنظرات الازدراء، وها أنت تقوم بذلك الآن إنها المرة الرابعة التي نتحدث فيها عن هذا الموضوع ظننت أننا أغلقناه في المرات الثلاثة الماضية، عمومًا لسنا في المكان والزمان المناسبين لمناقشة هذا الموضوع سأحاول تجنب كريم حتى تنتهي هذه الرحلة وذلك لتفادي حدوث أي مشكلة ليس إلا.

– حسنًا سيكون هذا جيدًا.

تركتني أذهب وأنت تعلم أنني لست راضية عما قلته، بل وابتسمت ابتسامة النصر عندما قمت بما طلبته مني، تركتني وأنت على يقين أنني أستشيط غضبًا لم تحاول حتى أن تهدئ الوضع، لقد ترك الغضب

بصمته على ملامحي ولم أستطع أن أعود إلى سابق عهدي، هرعتْ ألين نحوي فورَ رؤيتها لملامحي لقد علمت أني لست على ما يرام و سألتني في حيرة:

– ما بك يا بنت؟

– لا شيء، أظنني متعبة فحسب.

– أيفترض أنْ أُصَدِقَ كلامكِ الآنْ أم أصدق ملامحكِ التي تقول عكس ما تقولين؟

– من الأفضل أن نكمل التجهيزات.

– ماذا قال آسر حتى غير مزاجك هكذا؟

– لقد تناقشنا في أمر ما فقط، لم يقل شيئًا سيئًا.

– لقد رأيت طريقته في التحدث معك لم تكن تدل على نقاش هادئ كانت أقرب إلى مشاحنة حادة، لقد لاحظت أن هذه المشاحنات قد ازدادت بينكما في الآونة الأخيرة وبحسب خبرتي هذا ليس بالأمر الجيد.

– أصبح ينفعل على أي شيءٍ ولم تعد لي القدرة على تحمل كل هذا، إن شاء الله سوف تتحسن الأمور

– لا أريد أن أقلقك لكن لا تتفاءلي كثيرًا، هذه أحد أساليبهم الماكرة للهروب، يجعلك تسأمينه شيئًا فشيئًا فتقومين بإنهاء هذه العلاقة بمحض إرادتك.

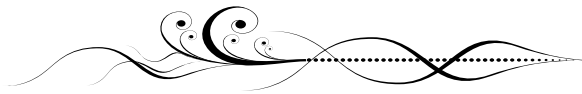

– لا يمكن أن يقوم آسر بهذا الأمر ليس معي أنا، أنت تعلمين جيدا منذ متى ونحن معًا، لا يمكن له أن يفكر هكذا هو لا يشبههم أعلم ذلك.

– من واجبي أن أصارحك رنين، خذي كلامي بعين الاعتبار.

– هيا نكمل التحضيرات.

– حسنًا.

حاولت تناسي كل ما حدث والاستمتاع بالنزهة، تعلم أنني أعيش اللحظة ولا أسمح لأي شيء أن يحول بيني وبين ذلك، حقا كانت مغامرة جميلة، لكن ما إن عدت إلى المنزل حتى تذكرت كل شيء كلامك وكلام ألين، كذلك أنني كلما حلّلت تصرفاتك في الآونة الأخيرة أجد أن معها حق، لقد تغيرتَ كثيرًا ولا أعلم لماذا وهذا ما يزيد حيرتي، انتظرت اتصالك لكنك لم تتصل لم تكلف نفسك عناء معرفة حالتي أو شعوري بعد ما حدث اليوم أو حتى أن تحاول مناقشة المسألة العالقة بيننا، لم نتحدث لأسبوع منذ آخر مشاحنة حدثت بيننا، حاولت الاتصال بك لكنك لم ترد وفي بعض الأحيان أجد هاتفك مغلقًا، لماذا اختفيت الآن؟ لماذا تختفي بعد كل مجادلة؟ أتعاقبني هكذا على ذنب لم أقترفه؟ أيعقل هذا؟ تذهب متى ما أردت دون أن تراعي أي شيء، وتعود عندما تريد أنت العودة مبررا غيابك أنّك لم تكن في حالة تسمح لك بالنّقاش قائلا أن نقاشنا في ذلك

الوقت لم يكن إلا ليزيد الطّين بلّة، حسنا اسأل عني، أجب على اتصالي وقل أنك بخير، قل أنك لست في مزاج يسمح لك بالحديث، أعلمني أنك بخير هذا كل ما أريده.

* * * *

إنَّ لحظات الفتور التي تحدث بيننا تؤرقني، أسأل نفسي كيف لك أن تغيب عني هكذا؟ لحظات البرود في علاقتنا كأنها تمهيدٌ للفراق، هي تمارين تساعد على تقبل النهاية، غير أنه لا يمكن لأحد أن يتقبل فكرة أن القصة على مشارف الانتهاء، لكن رغم كل ذلك هنالك دائمًا الأمل في أنك مهما ابتعدت سوف تعود، أتعلم أن الأمل في بعض الأحيان من شأنه أن يقتلنا؟ لابد أنك تقول كيف لشيءٍ يبعث في الروح الحياة والإيجابية أن يقتل؟ لكن ألم يخطر ببالك؟ أن بناء الآمال على أشياء مجهولة يضني القلب ليس إلا، فيموت الشخص تدريجيًا. هكذا كان الأمل في عودتك يستنزف طاقتي، كنت تعود فتجدني جثة هامدة فور رؤيتك تدب فيها الحياة من جديد، أفرح بوجودك لكنني أعلم أنك سترحل مرة أخرى فأقول أهم شيء أنك معي في هذه اللحظة، أُمَنِي نفسي أنني سأتدرب على تجاهلك وأنت بالقرب مني فلا يصبح لغيابك أي سلطة عليّ، لكنني أفشل في كل محاولة فحبك أقوى من أن يتم نسيانه أو المضي قدما وتركه.

* * * *

انقضى ذلك الأسبوع، واستيقظت على رسالة منك كتبت فيها «لا أعلم من أين أبدأ؟ أريد أن أقول أنني آسف على غيابي غير المبرر، وآسف على آخر محادثاتنا، أعلم أنك متضايقة من تصرفاتي و معكِ حق في ذلك لكن أنت تعلمين أنني أحبك وانفعالي عليكِ كان وليد غيرتي المفرطة، والتي أعرف جيدًا أنها تضايقكِ كذلك لكن ما باليد حيلة، كل هذا ليس سببا يدفعني لهجرك كل هذه المدة...أنا جدُّ آسف عزيزتي أتمنى أن تقبلي اعتذاري وأسفي، و أن ترافقيني على الغداء غدًا، أنتظر ردكِ على أحرّ من الجمر»

لم تكن عندي رغبة في أن أرد عليك إنها المرة الألف التي تعاملني فيها بصورة سيئة ثم تغيب غير مباليًا بما حدث، لا أستطيع أن أسامحك هذه المرة حتى أنه لا جدوى من مسامحتك فأنت ما تلبث أن تعيد نفس الخطأ، صدقني لقد طفح الكيل من كل تصرفاتك الأنانية ومن غطرستك التي احتلت علاقتنا مؤخرًا كأنك بعد كل هذه المدة التي قضيناها معًا أيقنتَ أن شعوري إتجاهك لا يمكن أن يتغير مهما حصل لقد تأكدت أنه لا يمكنني أن أبتعد عنك حتى وإن أردت ذلك، حتى أن مسامحتي لك دون تردد ولا تفكير جعلت هذه الفكرة تكبر في عقلك، وقفت هنيهة وفكرت مرة أخرى حيث ارتأى لي أنه لابد من أن أجيبك كتبت لك

« لا يمكنني أن أرافقك لدي ارتباطات مسبقة»

أجبتني بعد وهلة من الزمن

«أقبلتي اعتذاري ؟»

فقلت لك: «سواء قبلته أم لا إنَّ ذلك لا يحدث أي فرق في ما حدث إن ذلك لا يغير الماضي ولن يردعك عن التصرف بطريقة غير ملائمة مستقبلا»

«إذًا هذا قرارك يا رنين»

«نعم» كتبت هذه الرسالة وأنا أعلم أن عاقبتها سيئة لكن لا بد أن أردّ اعتباري وأن أنتقم لكرامتي التي أهينت كثيرًا

«حسنًا لك ذلك، وارتباطاتك مع من؟ كريم ،أليس كذلك؟ بغيابي أنا أصبحت العلاقة وطيدة »

«كيف سمحت لنفسك أن تفكر فيَّ بهذه الطريقة ثم كيف سمحت لها أن تقول لي هذا، لقد أصبحت شخصًا مؤذيًا لا يراعي شعور الآخرين ويقذف الناس بالتهم كيفما شاء، تعلم جيدًا أنني أحبك لدرجة أني لا أرى رجلاً سواك في هذا الكون مع ذلك اتهمتني اتهامًا بشعًا كهذا مع شخص قلت لك ألف مرة أنه لا يعني لي شيئًا، كيف تجرأت وقلت عني أمرًا كهذا؟ أكاد لا أصدق»

«هذا ما توحي به تصرفاتكِ»

«أحسنت لقد خربت كل شيء أأنت سعيد الآن؟ لقد انتهى الحديث بيننا، لقد ضقت ذرعًا من إهانتكَ المتكررة لي»

«حسنًا»

ارتجفتْ أطرافي عندما قرأت رسالتك هذه، لم تكن تنتظر مني إجابة كهذه لكنك استحققتها عن جدارة، لقد أصبحت علاقتنا سامة لم تعد مريحة كما كانت، حتى نقاشاتنا أصبحت عقيمة تنتهي بشجار يجرفني تياره و يحطم قلبي على صخور الحزن والاكتئاب، كنت أتشوق للحديث معك لكن الآن صرت أتفاداه حتى أحفظ ما تبقى من علاقتنا، ما الذي غيرك هكذا حتى أصبحت شخصًا لا أعرفه.

تراودني لحظات كثيرة من الندم تُلحق ضررا كبيرا بشعوري ونفسيتي حتى أني أفقد القدرة على الكلام أو حتى النظر، أعلم جيدا معنى أن تكون في علاقة سامة تستنزف قواك حتى الموت، أعرف ما معنى الخذلان والخيبة، لقد رفعت سقف توقعاتي حتى انهار على رأسي تاركًا إيايَ متأثرة بجروحٍ ليس الدهر بشافيها، لقد تعلمت كل هذا بالطريقة الصعبة، تعلمت بقلبي قبل عقلي، غريب أن يعي الإنسان الأشياء بقلبه فألم القلب يلقن العقل درسا لا ينسى، أكتب هذه الكلمات على صفحات دفتري وهالة من الحزن والانكسار تحيط كل حرف أخطه على أسطري، غريب هو

الحب يجعلنا نتأرجح ما بين دمعة وابتسامة يمزج الألم بالسعادة ويلهو بكياننا، بادئه جميل يبعث على الحياة وها أنا ذا أقف على مشارف نهايته تلك النهاية التي تلهب الفؤاد فيتصاعد رماده ليحرق كل ما يحيط بنا، ليمحي الألوان من الكون وينشر السواد حدادًا على قصة حبٍ عظيمة تسير ببطئ نحو هاوية النهاية.

أسأل نفسي كل يوم مئات المرات هل ستعود يا آسر القلب؟ أم أن كل فرص علاقتنا في النجاح قد اسْتُنْزِفَت، وأنها لن تصمد هذه المرة فقد طال غيابك، لم تكلمني منذ شهرين كأنك تخبرني بأنك ذهبت دون رجعة، بعدك عني جعلني أنغلق على نفسي، وبناءًا على تشخيص الطبيب النفسي لقد أصبت جراءه باكتئاب حاد أرهق روحي التي هي أساسا تحتضر من كل ما مرت به في وجودك، لم أعد أرى للعالم لون ولا أشعر بجمال أي شيء، أشبه ذلك السجين الذي حُرِم من رؤية ضوء الشمس وحُرِم من أن يحس بانتعاش النسيم عندما يلامس وجهه فتجده يحسب الأيام على حائط زنزانته الكئيبة منتظرًا اليوم الذي سيغادرها فيه، أنا كذلك أحسب الأيام لكن الفرق أنه يعرف متى يُفَك أسره، وأنا أحسبها دون أجل محدد فآسري ذهب تاركًا إياي مقيدة لا أعرف سبيلا للمضي قدمًا. اعتزلت كل شيء في غيابك أخذت معك شهيتي المفتوحة على الحياة وسلبتني

حبي للنوم، لم أعد كقطرة المطر أنشر الحياة أينما حللت، أصبحت كلفحة اللهب أحول كل ما يحيط بي إلى رماد.

* * * *

اليوم تمر ستة أشهر على غيابك، يقولون أن الوقت مر بسرعة لكن ليس بالنسبة لي، لقد أيقنت أنك لن تعود لذلك أوهم نفسي ومن حولي أني تخطيت الأزمة وأني على أفضل ما يرام، أبتسم رغمًا عني وأغادر سريري كل صباح بصعوبة وأقضي الليل أنتحب على وسادتي حتى أنام، لكنني لم أسقط يا آسري ولم أسمح لأحد بأن يشفق علي أنا لست قوية كما عهدتني لكنني أدعي ذلك، أعلم أن هذا كذب لكن ما باليد حيلة، أشتاق لك في كل ثانية وأحس بوجودك معي في كل خطوة، راودتني أفكار انتحارية منذ فترة بعيدة لكنني تعافيت منها الآن لقد تجاهلتها رغم أنني أحسست أن من شأنها أن تريحني. من المفترض أنّ ألين سوف تصطحبني للغداء اليوم، تقول أنه يجب أن ندلل أنفسنا وأن نكون السبب في سعادتنا، وافقت على الذهاب معها أحتاج أن أبدأ صفحة جديدة مع نفسي وها أنا ذا أحاول.

كانت ألين طيلة الطريق تحدثني عن جمال المطعم الذي نحن بصدد الذهاب إليه، لم أكن مركزة كليًا مع حديثها بل كنت أستمع للأغنية التي تعزف على الراديو كانت كأنها تعزف لي، اسم الأغنية هو

«PERFECT GRACE» غنتها kwamieliv، ما جذب انتباهي فيها أنها تتحدث عن قصة انفصال واشتياق فهي تقول أنها لا تحتاجه لكنها ما تلبث تسأله هل يفكر فيها أم لا؟

كما تبين أنها تشتاق له في كل حين، و لا تريد أن تظهر ضعفها فتدعي أن هذه ليست دموع بل هي قطرات المطر الهاطلة من السماء، كأنني أنا من يغني هذه الأغنية، غريبة هي الصدف حتى وإن كانت بسيطة كهذه.

وصلنا إلى المطعم وألين تكاد تطير فرحًا، جلسنا إلى طاولة أنيقة و كان معها حق فالمكان جميل و راقي، كنت أتفحص المكان بعناية وعندما أدرت رأسي لأكلّمها وجدت تعابير السعادة قد اختفت من ملامحها و حلت محلها تعابير المفاجأة والاندهاش، فسألتها:

- أأنت بخير؟ هل غيّرت رأيك في المكان بهذه السرعة؟
- لا يوجد شيء، فقط خُيّل لي أني رأيت شخصا أعرفه.
- حسنًا إذًا
- ما رأيك أن نغير الطاولة؟ نختار واحدة بإطلالة أجمل.
- وما خطب هذه؟
- لا شيء، فقط أردت أن أغير الطاولة.

كانت تحدثني متلعثمة علمت أنّ هناك أمرًا ما، كانت تنظر إلى شيءٍ

ما خلفي جعلها ترتبك بصورة غريبة، قررت أن ألتفت لأرى ما يقبع خلفي، و كانت المفاجأة عالمي كله اهتزّ جراء ما رأيته.

– آ... آ... آسر..!! أقسم أنني فقدت النطق في تلك اللحظة، أصابتني حالة من الجمود، اختفت الضجة والناس وبقيت أنت فقط، أدرت رأسي نحو ألين و قلت: إذًا هذا هو ما دفعك إلى تغيير الطاولة؟ آسر!

– ليس هو بل من يرافقه.

الآن فقط انتبهت أنك برفقة شخص ما، الآن فقط أيقنت أنك تبدو سعيدًا جدًا، وما ذلك الذي يلمع في بنصرك؟ أهو خاتم؟ أم أن حالتي النفسية قد تطورت إلى هلوسات؟ ومن تلك التي تمسك يدك؟ لماذا تمسكها؟ أليست يدك ملكًا لي؟ لا يحق لها أن تمسكها، انتظر قليلا هي أيضًا ترتدي خاتمًا...لا يعقل أن تكون... لا ليست خطيبتك، لا يمكن... أنت لن تنساني وتكمل حياتك بهذه السرعة... صحيح!! هناك احتمال أنني أحلم الآن لكن هل يكون الألم حقيقيًا هكذا في الأحلام؟ أحس كأن شخصا يركل بطني بكل ما أوتي من قوة لكن أنيني وصراخي حبس داخلي فزادني وجعًا، قرصت يدي وتأكدت أنني لست أحلم إنها الحقيقة.

كل هذه الحرب القائمة لكن ملامحي لا تعبر عن شيء من هول

الصدمة، حتى دموعي التي تنهمر لأبسط الأشياء قد تجمدت في محجريها، ألين لم تقل شيئًا بل ظلت صامتة تراقبني، لم تريني بهذه الحالة الغريبة من قبل، غريب هو ذلك السكون الذي يعتلي ملامحي .

استجمعت شتات نفسي وقلت لها: ألا يجب أن أذهب وأحييه، أن أبارك له وأهنئه.

منعتني صديقتي خوفًا عليَّ لكنني كنت مصرة، تصنعت الابتسامة وتوجهت إلى حيث يجلس سيد قلبي كلما تقدمت خطوة يظهر شريط ذكرياتنا كأن القدر يتعمد أن يعذبني أكثر مما أنا فيه، وصلت ووقفت أمامك لقد صُعِقت عندما رأيتني كأنني آخر شخصٍ كنت تتوقع أن تلتقي به، ابتسمت وقلت:

- مرحبًا كيف الحال؟

- الحمد لله رنين وأنت كيف حالكِ

- الحمد لله بخير

- عندما رأيتك قلت لألين لابد من أن أسلم عليه

- أنا آسف نسيت أن أعرفكما ببعض، هذه (سحر) خطيبتي وهذه (رنين) صديقتي.

أذهلتني كلمة صديقتي، أبعد كل ما كان بيننا أصبحت صديقتك الآن سامحك الله يا آسر على الوجع الذي يدمي قلبي.

– سحر اسم جميل تشرفت بمعرفتك وألف مبروك على الخطوبة، آسر من أنبل الناس الذين رأيتهم في حياتي

أعلم أنك فهمت ما أقصده جيدًا وملامحك التي ملأها الخزي أكبر دليل على ذلك.

– الشرف لي آنسة رنين، حدثني آسر عنك كثيرًا قال أنك من الأشخاص الذين يأتون في حياتنا مرة واحدة.

– أحقًا فعل! هذا لطف منه.

في تلك اللحظة نظرت في عينيك بتمعن، كنت أعلم أنها آخر مرة تلتقي نظراتنا أتعلم لماذا؟ لأنني لا شعوريا غرقت فيهما وأنا التي لطالما تفاديت النظر فيهما.

– إذا استمتعا بوجبتكما وألف مبروك مرة أخرى دمتم بخير وعافية.

–شكرًا رافقتك السلامة رنين

عدت إلى طاولتي أجر أذيال الخيبة والانكسار، لم أقل شيئا جل ما فعلته هو حمل حقيبتي والتوجه صوب الباب، لحقت بي ألين مسرعة ركبنا في السيارة وانطلقنا، لم تعد لي القدرة على تمالك نفسي فشرعت في البكاء والصراخ، أقل ما يمكن وصفه به كما قالت «ألين» أنه هستيري قالت أنني كنت أقول «لماذا لقد انتظرتك، ما ذنبي كوني أحببتك»، لا أذكر شيئًا جل ما علق بذاكرتي أنني كنت أبكي في السيارة ثم

استيقظت على سرير في المستشفى لا أعلم حتى كيف وصلت إلى هناك، لكن أظن أن قلة الأكل قد نالت مني في النهاية، قالت ألين أن الطبيب قد شخص حالتي بأن جسمي الضعيف لم يتحمل الضغط والانفعال الذي مررت به، كان الأمر يقتصر على روحي قلبي، وعقلي و الآن قد أصاب جسدي كله وسلبني قوتي.

قال الطبيب أنه ليس بالأمر الخطير فقط يجب أن أتغذى جيدًا وأبتعد عن الانفعال، وأنه يمكنني مغادرة المستشفى وقت ما شئت.

* * * *

«Its in my memory locked and you yourself shall keep the key of it»

«Hamlet» Act1/scene3

كل شيء حدث لي معك لم يغادر عقلي، كل ذكرى تجمعنا...كل نظرة وكل كلمة قد حُفظت في قاعة مميزة ومخفية من قاعات عقلي، في مكان أنت فقط من يستطيع الولوج إليه، مكان أنت سيده وأنت حامل مفتاحه، لذلك أجد أن أكثر جملة تشرح كلامي هي هذه التي قالتها أوفيليا نعم لا نتحدث عن نفس الشيء لكنها تجسد ما أريد قوله تماما، لطالما أحببت شكسبير وكنت أعلم أن قصة الحب التي سأعيشها

ستكون نهايتها تراجيدية مثل نهايات رواياته، والآن أيقنت أنه ما خاب إحساسي أبدًا فنهاية حكايتنا بعيدًا عن الغوص في تفاصيلها في حد ذاتها مأساة. أتمنى أن تغادرني كل الذكريات التي تملأ عقلي عنك وأن يتلاشى عطرك من أنفي، أن ترحل نظراتك عن ذاكرتي وأن يَعْتِقَ حُبّك كل خلية في جسمي، إلى متى سوف أتعذب لأنك لم تعد ملكي؟ وإلى متى سأواجه نظرات الناس التي تؤنبني ؟ إلى متى سأسمع أسئلتهم حول سبب ابتعاد آسري عني؟ متى يتوقفون عن قول «ما الذي تنوين فعله الآن؟» أعلم أنهم يشمتون في فراقنا لطالما أخبرتك أنهم سيفعلون، لكنك تآمرت معهم ضدي.

* * * *

They ask you
What are you planning to do?
It's my first time without you
They should respect my feeling thou
I've tear apart that poem I write you
You know that you aren't worthy don't you
Then tell them to leave me alone will you

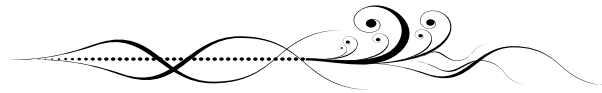

Werenotmeanttobeandthat'sthethingIknow
What are you planning to do?
The ultimate question for a broken soul
Someone who lived as fool
Trying his best to play among the role
But it's not easy as they tell
It's the closest thing to burning hell
It rings and rings like a warning bell
It's so hard when you fell
You start slowly to feel unwell
No one can tell
Am I the only one to feel this?
Am I the only one who should miss?
I need time or maybe what was broken the time can't fix
Or maybe for this story this is the end that fits

لا أعلم متى ينتهي كل هذا، رغم كل ما قلته عن رغبتي في أن يهجرني حبك حتى أحصل على بعض الراحة، أعلم أنه سيبقى بداخلي حتى يريحني الموت، هذا إن لم يقتلني ألمي لفراقك، ذلك الوجع الذي يجعلني أحس أن نهايتي قريبة جدًا...

الفصل الثاني

«هو الندم»

جميلة هي... جميلة بالمعنى الأزلي، راقية هي و كأن كل الرقي في العالم خلق لها، كأنها من حقبة زمنية أخرى، كأنها من العصر الفيكتوري أو كأنها الوريثة الوحيدة للملكة إليزابيث، تشبه حلم ليلة في منتصف الصيف، تشبه تلك النسمات الخفيفة التي تداعب بتلات الزهور كل صباح، تشبه الغروب والشروق إذا ما التقيا، معجزة هي كأنها الأنثى الوحيدة على سطح الأرض، فاتنة هي لو كانت في زمن الإغريق لحلت محل فينوس و أفروديت، جميلة هي بعينيها اللتين امتزجت فيهما خضرة النعناع بلون العسل، حكيمة هي وكأنها قرأت كل الكتب التي وجدت على مر العصور، تسحرها لوحات مونييه وتعصف بكيانها مسرحيات شكسبير، ويرحل بها شوبان و بيروما إلى بعد آخر، مزاجية هي تضحك ثم تبكي وتنفعل لأي سبب وتفرح بأبسط الأشياء، قلبها قلب طفلة وروحها روح ملاك، نقية هي رغم وساخة العالم الذي نعيش فيه، آسرة هي .... آسرتي هي، فكيف للآسر أن يؤسر؟ أوَ لم أقل ساحرة هي.

اليومَ تكونُ قد مرت سنتان على افتراقنا، التقينا وافترقنا في شهر ديسمبر، بعض الأشخاص يؤمنون أن هذا الشهر هو بداية صفحة جديدة والبعض يعتقد أنه الوقت لطيّ صفحة قديمة، بالنسبة لي عايشت الأمرين كان في بادئ الأمر بداية أجمل أحلامي ثم أصبح بداية نهايتي، كان نهاية وحدتي وحيرتي ثم أصبح نهاية أجمل أيامي، أحببتكِ في ديسمبر وفارقتكِ في ديسمبر، وها أنا ذا أَبْكِيك في ديسمبر، ترى لماذا كتب علينا الفراق أو بالأحرى هذا الاحتراق فهو يلهب كل شيء جميل في القلب ويحوله إلى رماد بعد أن كان مزهرا، فالحب كفيل بأن يجعل القلب جنة والفراق يصنع منه جحيمًا، غريب أنني أقتبس من مقولاتك وأنا من ينعتك بالفيلسوفة، اعذريني فَعندما أقول شيئًا يخصكِ أراكِ أمامي فيخفف ذلك ألم الفراق الذي يعتصر أحشائي.

أصبحت أشبهكِ كثيرا، أشرب قهوتي الصباحية السادة على أنغام فيروز وأقرأ لشكسبير كثيرا برفقة كوب من الشاي كتب عليه)عاشق المطر (و أقضي الليلة أراقب النجوم مستمعا إلى الأغاني التي غنيتها لي، وأحمد الله أني أسمع صوتك من جديد، ثم أصلي وأقرأ القرآن وأنام، آكلُ طعامًا صحيًا، حتى أني أقلعت عن تدخين السجائر، لقد صنعت شخصًا جديدًا من بقايا إنسان، جعلتني شخصًا آخر تمنيت لو أنك رأيت هذا التغيير، لكنكِ فارقتني باكرًا حتى من قبل أن أخبركِ

كم أحبكِ وكم أحببتكِ منذ أول يوم عرفتكِ، ذهبتِ وتركتني أصارعُ الشعورَ بالذنب، أعلم أني كنتُ السببَ في حزنكِ والحالة الصعبة التي مررت بها، ألوم نفسي في كل شهيق وزفير ألوم نفسي كيف استطعت أن أحول كل طاقتك الايجابية إلى كومة من السواد، التهمت كل معا لم الفرح التي كانت تطغى على وجهك البشوش الذي بفضلي تحول إلى مكان مظلم كأن صاحبه قد ألقى نظرة على الجحيم ثم عاد، أتمنى لو تستطيعين مسامحتي على كل ما بدر مني فأنا حتمًا لم أقصد يوما كل ما حدث.

تمر ذكرياتنا أمامي في اليوم ألف مرة وألعن نفسي معها ملايين اللعنات، ويرهقني الشعور بالندم، أنا من تركك تذهبين... أنا من دفعتك للذهاب، كيف لرجل في كامل قواه العقلية أن يسمح لفتاة مثلك بالرحيل، أن يسمح لمن لم تكن له سوى الحب أن ترحل للأبد، أتعلمين أدفع عمري كله فقط لأنظر في عينيك حيث يمتزج لون العسل باخضرار المروج، عيناك اللتان تلمعان وكأن الله وضع فيهما أنوار نجوم المجرة، فلا معنى لعمري وحياتي وأنتِ بعيدة عني، أسأل نفسي مرارًا وتكرارًا ترى لم كتب علينا هذا الفراق؟ ترى لماذا حرمت طلعتك البهية هكذا؟ أَهو جزاءٌ لذنب اقترفته؟ أم هو قدر أم أنني لم أكن أنا المناسب لك؟ أعلم أني أرهقتك بتصرفاتي و إن بقيت معي سأرهقك أكثر فأكثر، لكنني أحبكِ.

أنا رجل عاش في مجتمع آثم لا يمكن أن يحتمل نقاءً كنقائكِ، يخيفني نقاءك وأحسدكِ عليه كثيرًا وأغار من كونك رائعة هكذا، حيث أن وجودك كان يسحرُ الجميع و يجعل من حضوري الذي قيلَ عنهُ أنه طاغي يختفي تمامًا، كنت أغار حتى من انبهار الناس بعفويتك وحبهم لضحكتكِ، كنت أراقب طريقة تعاملهم معك وانبهارهم بشخصك، كنت أغار عليك وأغار منك في ذات الوقت، أغار منك لأنك تجذبين الأضواء بصورة غريبة وأغار عليكِ من نظرات الإعجاب التي يرمقكِ بها كل رجل يلمحك أو تلك الابتسامات التي تعرب عن مدى سعادتهم بحديثهم معك، فأنت المرأة التي أحب ولا قدرة لي على رؤية رجل ما معجب بك، في بعض المواقف كنت أحقد عليك أحقد عليك لأبعد الحدود و كنت أشتمك في قلبي وألعن كل رجل معجب بك وألعنك كذلك إذ ما سمحتي لأحد منهم أن يتحدث معكِ، كنت أنفعل بصورة مبالغ فيها أما أنت فتقابلين ذلك الانفعال بالهدوء وبعينين دامعتين، أعشق فيكِ كون غضبك هادئ تتركين دموعكِ وكلماتك البسيطة تؤنبني، أتمنى لو أستطيع تصليح ما حدث أن أمحي كل المآسي التي عانيتها برفقتي.

* * * *

أعلم جيدًا كم عشقتيني بطريقة بريئة تلامس الروح، تُخبرني أنكِ لم تقعي في الحب قبلي ومستحيل أن تبحثي عنه بعدي، أحببت طريقتك في الكلام، جمال روحك وحبك للفن كما أحببت تلك المقولة التي اخترعتيها وكنت تقولينها كلما كلمت شخصًا نقي الروح، كنت تقولين: «جمال الروح في حد ذاته فن» و كنت أعشق مراقبتك وأنت تكتبين على حاسوبك، تذكرينني بعازف البيانو الذي ينقر المفاتيح ليوصل لنا أعذب الألحان وأنت تنقرينهم لتوصلي لنا أعذب الكلمات وأصدق الأحاسيس، تكتبين بشغف و كأن قلبكِ من يكتب، حسك الفني نادر جدًا وطريقة تفكيرك تجعلني أحسدك، رائعة أنتِ في كل ما تقومين به مع ذلك فقد آذيتك كثيرًا، كلما أحببتكِ أكثر كلما زادت غطرستي ناحيتكِ، أقرّ أنني أصبحت أحاول السيطرة على جميع تصرفاتكِ وهو أمر أعلم جيدًا أنه يضايقك، قمتُ بذلك آلاف المرات وعاملتك بازْدِرَاء كثيرًا وكان قلبكِ الطيب يغفر لي في كل مرة دون سابق تفكير، ما جعلني أعيد أخطائي غير مباليًا حتى رحلت عني، حاولت أن أغيضك لأنك تركتني فقمت بخطبة (سحر)، فقط أردت أن أؤلمك كأنني لم أؤلمك بما فيه الكفاية، كم كنت غبيًا عندما دفعتك للمغادرة، والآن أشاهدك تحاولين الرحيل من هذا العالم البائس الذي كنتِ مثالية بالنسبة له وبالنسبة لشخص مثلي. أكاد لا أصدق أنك أمامي بهذه الحالة لا أستطيع أن أصدق وجود

احتمال أن أفقدك للأبد كيف لي أن أراك على هذا السرير؟ أن أراك جثة هامدة وأنا أعلم كم كنت مليئة بالحياة والنشاط. أتعلمين أنك تشبهين الملائكة ؟ حتى و أنت مغطاة بالضمادات لا تزالين خلابة، تبدين مسالمة للغاية تشبهين الأطفال غاليتي، لكن أريدك أن تفتحي عينيك، لقد أتيت أعلم جيدًا كم أتعبك فراقي وكم آلمكِ بعدكِ عني والذي أتمنى من كل قلبي أن لا يكون سببا في الحادث الذي قمت به، أذكر أنّكِ كنتِ تفرحين عندما تريني تسارعين لتختبئي بين أحضاني لطالما قلت لك من تسابقين حبيبتي؟، كنت تردين مبتسمة:»أسابق نسمات الهواء لكي لا تحتل حضنك قبل أن يحتويني؟» كم أشتاق إلى تلك الابتسامة الماكرة التي تصاحب حديثك هذا، أفيقي الآن و دعيني أحتويك لآخر عمري، كنت غبيا يوم تركتك، أعلم أني لم أفارقك يوما لطالما كنت معك ولطالما حملتك في قلبي لطالما أسكنتك فؤادي، نعم هجرتكِ لكن لم أهجر حبكِ يوما هجرتك وعدت اليوم أجرّ أذيال الشوق وأتمنى أن تستفيقي، أقف بجانب سريرك أراقب الأجهزة المتصلة بجسمك أأفقدك هذه المرة للأبد؟ أتذهبين هذه المرة و تدعينني دون شمس ودون قمر؟ دون نجوم ودون سماء؟ دون نسمات الهواء الجميلة، أتذهب حبيبتي دون رجعة؟ فليذهب البعد إلى الجحيم وليلتهب الشوق بناره مثلما ألهبنا،

ولتعد نغمة قلبي إليّ فلتعد سيمفونية عشقي إلى أوتاري، أيخطفك الموت مني؟ أأخسرك حتى في الحياة الأخرى؟ فلا شك أني ذاهب إلى النار وأنت ملاك في الجنة، كنت ملاكًا على الأرض فما بالك عندما تصعد روحك إلى السماء، أليس الوقت مبكرا على الذهاب للأبد، ألا يشفع لي شيء الآن و يعيدك إليّ، لا تغادريني أرجوكِ، فقط ابقي من أجلي...من أجل كل الأيام التي عشتها بعيدا عنك أعدك أني لن أذهب مجددا، أنا باق لا محالة .

لقد مر شهر على وجودك هنا، أتيتِ جراء حادث أليم و نجوت من الموت لكن كنت تعانين من نسبة هائلة من الكسور، سبب الحادث هو السرعة المفرطة، كنت تقودين بسرعة هائلة مما أدى لارتطامك بشجرة، وها أنت ذا في غيبوبة منذ ذلك اليوم.

استيقظت يوم الحادث بشعور غريب وبرغبة كبيرة في البكاء، قلت في نفسي أني اشتقت إليك وهذا هو السبب، تجاهلت ذلك الشعور وبدأت بتحضير نفسي للذهاب إلى العمل، وصلت إلى الشركة بعد ساعتين وفور جلوسي إلى مكتبي رن هاتفي لكنه كان رقمًا غريبًا، ظننتك أنت فأجبت دون تردد

– ألو... إنه صوت فتاة تبكي... ألو من معي؟

– أنا ألين

– ما بك؟ هل رنين بخير؟

– رنين أصيبت في حادث سير وهي الآن في غرفة العمليات

– ماذا؟ أي مستشفى؟

أغلقت الهاتف وجئت مسرعًا لا أعلم حتى كيف وصلتُ، في صالة الانتظار وجدت عائلتكِ رفقة ألين في حالة صدمة، كنت أسمع والدتك تقول: « لا... لا يمكن أن أفقد رنين، أرجوك يا الله لا تحرمني صغيرتي، لقد تعبتْ جدًا في الآونة الأخيرة رأيتها تتألم وتسقط أمامي تدريجيا، قضت الفترة الأخيرة وحيدة غارقة في الدموع، حديثها الوحيد كان عن ابتسامته و لمعة عينيه كانت تعيش في ذكريات قد ولّت، كانت تبكي الماضي الذي هجرها، خَسرتُ ابتسامتها وخسرت إشراقها لكن والله لا قدرة لي على خسارتها».

كلام والدتك جعلني أغرق في دوامة من الندم والإحساس بالذنب، أنا السبب في معاناتك، لقد حطمتكِ وأعلم أن تأنيب الضمير سيصاحبني ما حييت، ليس غريبا عليّ هذا الشعور فأنا أحسه منذ افترقنا، تقدمت نحو ألين وطلبت منها أن تخبرني ماذا حدث، قالت لي أنه منذ أن رؤيتك لي في ذلك المطعم وأنت منطوية على نفسك أكثر من ذي قبل، وأنك أصبحت تقودين بسرعة هذه الأيام وقد قال الأطباء أن حالتك حرجة للغاية واحتمال النجاة من الموت ضئيل للغاية.

خبر كهذا قلب موازيني كلها، أحسست بالعجز، بالغضب، فزعت وتملكني الخوف، حتى أن دموعي تساقطت دون أي سابق إنذار، دون مراعاة لكوني في مكان عام، وأنا ذلك الرجل الصلب الذي لم يحس بحرارة الدموع أبدًا على وجنتيه، انهرت يا حبيبتي وصارت ألين تواسيني، كنت تريدين الانتحار بطريقة غير مباشرة لكي لا تلحقي الضرر بأحد بعد موتك وتفاديًا لأسئلة الناس الجارحة وها أنت ذا في غرفة العمليات مُعَلَقَةٌ بين الحياة والموت، أظنك ارتحت من الألم والتفكير الآن، حان دوري لتزيد جرعات ألمي.

دامت عمليتك سبع ساعات بل الأجدر أن أقول سبعة أعوام، خرج الطبيب يمسح العرق من على جبينه ثم جلس في الردهة حيث هرع نحوه أفراد عائلتك و ألين، و قال أن مؤشراتك الحيوية قد تحسنت لكن الإصابة كانت قوية على رأسك مما أصابك بغيبوبة، صعق الجميع جراء هذا الخبر وانهارت والدتك وصديقتك، وحمدت أنا الله لوجود احتمال أنك ستستفيقين يومًا ما، سألت الطبيب متى يمكنني أن أراكِ فأجابني أنه بإمكاني ذلك بعد يومين.

انتظرت على أحرٍ من الجمر وجاء اليوم الذي سأرى فيه ملاكي معلقة بين الحياة والموت، كنت أحاول تمالك نفسي قدر المستطاع وأن أحافظ على رباطة جأشي، دخلت الغرفة وكنت تنيرينها بوجودكِ

كنت مستلقية على السرير مغلفة بالضمادات وكم هائل من الأسلاك والأنابيب متصل بك، تقدمت نحوك بخطى متثاقلة كذلك الذي يقترب ببطء من حبل المشنقة، جلست إلى جانبك وأمسكت يدكِ كانت كأنها مكعب ثلج لقد تركت دموعي تنهمر عليها على أمل أن تدفئها، في تلك اللحظة تذكرت المشهد الأخير من مسرحية «روميو وجولييت» كنت تحبين ذلك المشهد تتأثرين كثيرًا عند قراءته وها نحن ذا نعيشه عندما وجد روميو حبيبته جثة هامدة فطلب من عينيه أن تنظرا للمرة الأخيرة ومن يديه أن تعانقاها العناق الأخير، لكن أنا سأطلب منك أن تعودي إلى الحياة ثم إلي، سأنتظرك وإن كلفني ذلك العمر كله.

* * * *

بعد مرور أسبوع من الحادث اتصلت بي ألين وقالت أنها تريد مقابلتي للتحدث في أمرٍ مهم، كنت مشغولا فطلبت منها أن توافيني بعد ساعتين في المطعم الذي بجانب الجامعة، عندما وصلت إلى المطعم وجدتها جالسة تقلب صفحات دفتر وعينيها غارقتان في الدموع، عندما رأتني قالت:

– خذ هذا، لقد أرادتك أن تحصل عليه

– ما هذا؟

– اقرأه و سوف تعلم، لقد عانت كثيرًا بسببك وهي الآن تصارع الموت بسببك، لا سامحك الله ولا غفر لك ما فعلته.

ثم حملت نفسها وذهبت تاركة إياي متسمّر ومذهول خلفها، فتحت الدفتر لتعترضني أول جملة «في حال حدث لي شيء يرّد هذا الدفتر إلى آسر القلب»، أخذت الدفتر وذهبت إلى المستشفى، جلست بجانبك ورحت أسبح في أسطره لقد فهمت أنّك بدأت الكتابة فيه منذ أن افترقنا، علمت أنك كنت تعيشين في الماضي، قرأته على مسامعك منذ أول جملة «لقد ذكرني اليوم بك» إلى آخر ما كتبت «الوجع الذي يجعلني أحس أن نهايتي قريبة جدًا».

لقد أحسست فعلا بمقولة شكسبير

«Praising the past make the remembrance dear»

لقد صدق في كلامه، فتعظيمنا للماضي يجعل التذكر والذكريات شيئًا عزيزًا، أوَ تعلمين يا آسرة القلب؟

«لست على قيد الحياة بل أنا على قيد ذكراك أعيش»